كلمة غبطة البطريرك هزيم في تأبين المرحوم

وديع صيداوي

في ٥ آذار ١٩٨٩ في الكاتدرائية المريمية للروم الارثوذكس بدمشق

ورد في الكتاب المقدس القول المأثور: «في البدء كان الكلمة. . .» والكلمة هنا كلمة الله والله وجود وكلمته ايضاً وجود لذلك فالكلمة يصير متجسداً متى شاء.

إن ديانتنا هي ديانة الكلمة الحية المتجسدة، والالهام الإلهي بكامله آتٍ من خلال الكلمة والله يتكلم.

الناس يتكلمون بالبنادق والمدافع والنار والله يتكلم بالمحبة والحقيقة والجمال.

ليس بين الله وكلمته فجوة لأنه هي ولأنها هو ولذلك فكلمة الله تقود إلى الحق وتعلن عن الحق وتصف الحق. فهي صادقة وهي حقيقية.

وبين الانسان وكلمته قد تحصل فجوة عظيمة فلا يصبح لها ولا تصبح له بل تغدو طنين نحاس أو رنين صنوج، أي أنها تغدو والحقيقة ضدين لا يجتمعان.

ونحن اليوم نعاني من الكلمة لم تعد تشير إلى الحقيقة ولا تعلنها ولا تصفها. الكلمة أصبحت أداة للتضليل بدل أن تكون أداة للهداية.

ولكي تكون الكلمة صادقة يجب أن يسخرها الانسان للصدق لأنها هي التي توصل ما بين إنسان وإنسان، وهي حق الانسان على أخيه الانسان ولا يجوز أن يدب فيها الفساد والغش.

من هنا إن الأمانة في التعامل مع الكلمة فضيلة تزداد الحاجة إليها كل يوم خصوصاً وأن الكلمة اليوم أضحت مرهونة لألف غاية وغاية.

وهذا يجعلني اليوم - في وداع الراقد بالرب - وديع صيداوي أن أنوه بفضيلة لازمته في تعاطيه التعامل بالكلمة خلال أربعين سنة.

وهذا أيضاً ما يجعلني أشعر بالخسارة إذ أننا في أمس الحاجة إلى من يحترم انساننا الحاضر بحيث يلزم ذاته في قول الحقيقة له. فكم من الناس من يبني معلوماته وبالتالي أحكامه على الواقع من خلال خبر مزيف أو قول مضلل.

نعم إننا في أمس الحاجة إلى إعادة الربط بين الكلمة ومضمونها بين ظاهرها وباطنها لئلا ينمو فيما بيننا قول باطل وأدب مزيف فالحقيقة حقيقة وإن كانت جارحة.

للراقد بالرب أقول: «كنت أميناً في قليل. . ادخل إلى فرح ربك».

ولآله الأعزاء أقول: تعزيتكم بالرب وبأن المرحوم وديع كان هو ذاته.

في ذكرى
وديع صيداوي



نكرم:

شعبنا وتاريخه الوطني والسياسي. عندما نكرم صحافتنا وصحافيينا الأبرار

بقلم الأستاذ: منذر الموصلي

ليس المهم ان نكتب أو لا نكتب. بل المهم هو لماذا نكتب؟ وأي هدف نقصد عندما تكون الكتابة تتناول الاشخاص... أو من نحب ونحترم من الاشخاص الذين أدوا ادواراً متميزة على مسرح الحياة.

واذ تكون الكتابة تنطوي على بواعث كهذه فانها تصبح نوعاً من الواجب الملزم كعملية استحضار لمرحلة تاريخية بذاتها نتعرف اليها ونستبين الكثير من معالمها بمقدار ما يكون للشخص المعني الذي نكتب عنه، من حجم ودور فيها. ولئن كان هذا المفهوم ينطبق عادة على القادة والساسة واصحاب الكلمة وحملة القلم، فانه يتجلى أكثر عندما يكون أحد هؤلاء من الصحافة ورجالها المتميزين البارزين لانهم قادة فكر وسياسة وسدنة وطن في آن معاً. ولعل الصحافي والكاتب الراحل الاستاذ وديع صيداوي «ابو رجا» يندرج في السطور البارزة من اسماء هؤلاء الاعزاء المغادرين، وتظل جريدته تعتبر واحدة من الصحف التراثية التي تناغمت صفحاتها مع صفحات الحدث السياسي في قطرنا السوري ومحيطه القومي وإلى ما هو أوسع وأبعد في المدى الجغرافي الذي يتصل بالوطن العربي الكبير.. انها جريدة «النصر» الغراء التي استمرت تصدر لمدة عشرين عاماً متواصلة (١٩٤٣ - ١٩٦٣) أي خلال السنوات التي ازدحمت بالاحداث على أكثر من صعيد. وكان للصحافة السورية ورجالها الدور المتميز فيها توجيها ودعماً وتجاوباً كلفها أغلى التضحيات. وما كان للصحافة ان تكون بعيدة أو متفرجة، واذ هي في لجتها. ولا أرى اننا بعيدون عن الحقيقة والواقع لو قلنا بان جريدة «النصر» كانت من الصحف ذات الهوية واللون وصاحبة دور في الاحداث التي مرت، والصراعات الفكرية التي عمت القطر من حيث انها تمثل شيئاً من يسار الوسط في التيارات التي كانت سائدة آنذاك، رصينة وقورة من دون «ديماغوجية» ولا إسفاف تطابقاً مع الصفات الشخصية لصاحبها المثقف المطلع بدراية على ما يجرى حوله من تبدلات وصراعات.

وهكذا فنحن عندما نستعرض دور وديع الصيداوي وجريدته الرائدة انما نستعرض في الحقيقة جزءاً من تاريخ سورية السياسي ومواقع الصحافة فيه؛ من حيث انها لم تكن صحافة إخبارية مجردة عن المشاركة واعطاء الرأي فيما يجرى على ساحة الوطن. بل ان لاصحابها التزامات وقناعات ذاتية ينطلقون منها وفق انتماءاتهم الفكرية والعقائدية والوسط الاجتماعي الذي هم فيه، وكذلك كتابها. ولقد كان لهؤلاء الرجال وصحفهم نصيب كبير في مقارعة الانتداب وحكوماته وفي حركة التحرر الوطني الذي سبق الاستقلال. كما كان لهم دورهم في تعميق اسس الديمقراطية البرلمانية آنذاك.

نخلص الى القول اذن بان تكريم الرجال البارزين، وبخاصة الراحلين منهم، لا يكفي ان يكون من خلال شحنة عاطفية مجردة، اذ لابد من دراسة شخصيتهم، ومعرفة ثقافتهم وانتمائهم لاستخلاص الركائز الاساسية التي اعتمدها كل منهم فسارت به إلى البروز، ويكون تقديمهم ضمن هذا الاهاب العريض ادعى لتكريمهم وأوفى. ولابد من التذكير في هذه المناسبة اننا تعودنا على تكريم الصحافة والصحافيين في هذا البلد أكثر من غيرهم انطلاقاً من أهمية موقعهم الوطني وتأثيره في حياتنا العامة. وهو موقع لا يمكننا تجاوزه واغفاله كلما واتتنا الفرصة، نحن الجيل الذي عاصر تلك المرحلة الخصبة من تاريخ سورية العربية، وتعرف على تلك الصحافة الجليلة وفرسانها الميامين، الذين اعطوا لبلدهم صحافة راقية متقدمة رغم المصاعب التقنية والتمويلية وضيق الحاكمين بحرية الصحافة وبالمناخ الديموقراطي الذي كانوا يتحركون فيه.

وحتى تكون الترجمة وافية أكثر لابد من التمسك بامانة البحث عند تكريم الأولين لانهم في حساب الوطن وحصيلة انجازاته نجدهم قدموا بسخاء من الحب والايثار ويستوي في هذه المقاييس كل وطني مخلص وفي أي موقع بدا فيه، بين اقصى اليمين واقصى اليسار وما بينهما.

وتحضرني أيضاً في هذه المناسبة قصة تكريم سورية للصحافي الراحل الاستاذ حبيب كحالة قبل ربع قرن تقريباً. ولقد كَتبتُ مساهماً في العدد الخاص الذي صدر عنه في مجلته «المضحك المبكي» في مناسبة وفاته بعد حياة سياسية وصحافية حافلة، ونضال مشهود ضد الانتداب ورجاله.

وأقول بحق انني كنت مدفوعاً مثل غيري للكتابة بشعور من الواجب نحو خيرة الرجال من أبناء وطننا وممن لم نحسن تكريمهم وهم أحياء فلا أقل من تكريمهم وهم أموات. وذكرت فيما كتبت ان الفقيد زارني قبيل وفاته - وكنت مديراً عاماً للانباء في حينه - ليسجل اسفه وعتبه علينا فيما اعتبره تجاوزاً على صحيفته من قِبل «الرقابة» في وزارة الاعلام. وما زلت أذكر كيف أعلمني بانه سيوقف مجلته اذا استمر هذا الوضع معها. وكانت حجته يومذاك ان مجلته سياسية نقدية ومن مستلزمات اسلوبها العبارة الحادة في قالب فكه اشتهرت به يستهدف عادة كبار الساسة والمسؤولين في الدولة بدون استثناء. وهنا لابد من الاشارة إلى ان مجلة «المضحك المبكي» الاسبوعية كانت من الصحف القليلة التي استثنيت من الاجراءات التنظيمية التي اتخذتها ثورة آذار منذ بداياتها في قطاع الصحافة. فطيبت خاطر الاستاذ كحالة واستمهلته بعض الوقت لتذليل ما يشكو منه. ثم دعوته بعد فترة لزيارتي معززاً مكرماً وابلغته انني حصلت على موافقة أعلى المراجع في الحزب والدولة بان تستمر مجلته المحترمة على الصدور وتقديم ما يلزم لها من تسهيلات ومن دون رقابة مسبقة على ما تكتب مع التأكيد انه بامكانها ان تتناول من تشاء في نقدها البناء حتى لو كان موجعاً. ونقلت اليه أيضاً تعليق أحد المراجع بالقول: «لو لم تكن المضحك المبكي مستمرة على الصدور لطلبنا اعادة اصدارها باعتبارها صلة وصل مع قطاع كبير من شعبنا اتقنت مخاطبته والحديث معه باسلوب معين محبب». فانجلى خاطره وودعني شاكراً، ثم بعد شهور قليلة أي في نهاية ك١ ١٩٦٥ ارتحل الاستاذ كحالة عن دنيانا وتوقفت مجلته عن الصدور رغم ما بذله نجله الصديق «سمير» من جهد لمواصلة اصدارها. لكن ظروفه الصعبة كانت أقوى منه. وأذكر انه عندما تبلغنا نبأ وفاة حبيب كحالة نعيناه رسمياً عن طريق الاذاعة وجرى له مأتم حافل شاركت فيه الحكومة بأعلى مستوياتها تكريماً لتاريخه الصحافي والسياسي وتكريماً للصحافة السورية.

وعندما ارتحل شيخ الصحافة ونقيبها الاسبق الاستاذ نصوح بابيل قبل فترة قريبة كان له تكريم يتناسب مع تاريخه الصحافي والوطني، وأُطلق اسمه على احدى المدارس. وكان للراحل العزيز الاستاذ وديع صيداوي تكريم مماثل تبدى أكثر ما يكون في مناسبة تشييعه والعزاء فيه من مختلف اوساط بلدنا ورجالاته. ومن لبنان الشقيق مما أكد الوفاء الذي اتصفت به دمشق الشام نحو ابنائها الاعزاء.

وفي حد علمي انه لا يوجد بناء أو مقر لنقابة الصحافة عندنا الآن... لو وُجد لوجب ان يتصدره نصب تذكاري تسجل عليه اسماء الصحافيين الكبار أمثال: نجيب الريس وأحمد كرد علي ويوسف العيسى ووجيه الحفار وأمين سعيد ونصوح بابيل وحبيب كحالة ووديع صيداوي ومعروف الارناؤوط وتوفيق جانا وسامي كبارة وفهمي المحايري ومنير الريس وحسين

شعباني وبشير العوف وأحمد عسة وعبد الغني العطري ونزيه الحكيم وغيرهم من دون ان ننسى تلاميذهم وزملاءهم أمثال: عمر الطيبي ورشيد ملوحي وأحمد قدامة وسعيد الجزائري وأحمد شكري وسعيد الروماني وكامل بني وعبد السلام الكاملي وأحمد قدامة وعباس الحامض وعزة حصرية وجلال فاروق الشريف وعدنان ملوحي وبكري المرادي ونشأت التغلبي وممتاز الركابي وزهير مارديني وتيسير النحاس وأحمد علوش. متذكرين من مضى منهم وارتحل بالاعتزاز راجين للاحياء الصحة والعافية والعمر المديد. ويا حبذا تخصيص يوم سنوي «يوم الصحافة» يحتفل فيه شعبنا بالصحافة ويقدر تاريخها الوطني ويكرم رجالها. وهذه أمنية نطرحها عسى تجد طريقها للتحقيق.

أجل لقد كانت صحافتنا التاريخية منارات تضيء أمام شعبنا معالم الطريق أمثال: المقتبس والقبس، والف باء، والايام، والنصر، والانشاء، وفتى العرب، والاستقلال، والمضحك المبكي، وصوت العرب، والحضارة، والكفاح، والنضال، والشام، والفيحاء، والنقاد والدنيا، والعلم، وعصا الجنة، والمنار، وبردى، والاخبار، والصرخة، وغيرها ممن لم تسعفني الذاكرة في تذكرها. اضافة للصحافة المتخصصة التربوية والفنية والصحية والرياضية والروحية وروادها الابرار. لقد كان لهذا النوع من الصحف حيز كبير في النشاط الاعلامي التوجيهي. وعندما يكتب اليوم كتّاب وأدباء صحفيون كثيرون في مناسبة غياب أحد اعلام الصحافة العربية السورية وهو الاستاذ وديع صيداوي انما يسهمون في الحقيقة بتكريس مأثرة ورثها أهل هذا البلد العريق وتوارثوها كابراً عن كابر، يحرصون على التمسك بها وعدم اهمالها، لأنها جزء من تقاليدهم وعاداتهم المأثورة الجديرة بالاستمرار، وأعني الوفاء لأقدار الرجال وما أدوه لوطنهم وشعبهم من خدمات. واذ أكتب في ذكرى فقيدنا الراحل أجدني مدفوعاً إلى الكتابة تحت ضغط من عدة عوامل... لا أقول بانها محصورة فقط في حدود محبة وتقدير الراحل الكريم أو الواجب العاطفي نحو اسرته وانجاله وخاصة منهم عزيزنا (رجا) الصديق والرفيق القديم وبما تحمل هذه الكلمة من معنى. بل أكتب أيضاً استجابة لعوامل مهنية أيضاً. ذلك لأنني صحافي سابق وهذا يشكل باعثاً قوياً في حماسي للكتابة عن هذه الشخصية الصحافية المرموقة، واذ كنت ذات يوم رئيساً لتحرير جريدة «الف باء» لعدة سنوات في بدايات الخمسينات فان الاستاذ وديع صيداوي تدرج مبتدئاً في هذه الصحيفة العريقة عقب اجازته الجامعية ليغدو رئيس تحريرها المرموق قبل اصدار جريدته النصر. وكان موفور الحظ لانه تتلمذ على يد صاحبها الاستاذ الكبير يوسف العيسى.

ويصبح عملي السابق في حقل الصحافة وبخاصة انتسابي لاسرة «الف باء» ادعى اذن الكتابة عن الراحل العزيز. واذا كان الشيء بالشيء يذكر فلابد من التنويه هنا بان «ألف باء» هي الاقدم بين جرائد سورية كلها، وتنتسب إلى صاحبها ومؤسسها الصحافي الرائد والكاتب العربي المرموق الاستاذ يوسف العيسى صاحب زاوية «مباءة نحل» التي اشتهرت مثل شهرة كاتبها وأكثر. «والف باء» هي الصحيفة المدرسة التي شهدت مرحلة الثورة العربية الكبرى ومملكة فيصل الأول بدمشق. فيها تدرب وتدرج وتخرج عشرات الكتّاب والشعراء والصحافيين السوريين. وكان منهم وفي مقدمتهم وديع صيداوي الذي يمت بصلة قرابة للاستاذ العيسى. ولكن اذا كان يوسف العيسى فلسطيني الأصل فان وديع صيداوي دمشقي أصيل خلافاً لما توحيه كنيته «الصيداوي» نسبة إلى مدينة صيدا، فهو من آل «فرح» وهم دماشقة اصلاء وأهل علم وأدب تخصص عدد كبير منهم في حقول التعليم. غلبت على الاسرة تسمية الصيداوي لان عم الفقيد الراحل كان «كاهن» مدينة صيدا لفترة طويلة فغلب عليهم لقب الصيداوي. شقيقه فؤاد صيداوي عرفته عندما كانت جريدة «الف باء» ما تزال تطبع اعدادها في مطبعته وكا اسمها «مطبعة الف باء» أيضاً قبل ان يقلبها إلى «مطبعة الأديب» فيما بعد. حيث وسعها وطورها ليخلفها مؤسسة كبرى للطباعة والنشر في العاصمة دمشق. وكان مأمولاً ان يكون ابناء الشقيقين صحافيين أو رجال مؤسسات تمت للصحافة، لكنهم اختطوا طرقاً مختلفة ففيهم الطبيب والمهندس ورجل الاعمال الناجح. واذ كان فقيدنا وديع صيداوي يبدو مربوع القامة ترتسم على وجهه الدائم البشاشة، ملامح الدبلوماسي ونعومته، فان شقيقه فؤاد كان عريض المنكبين ممتلىء الجسم تحت وجه قوي التقاطيع نسبياً، يعتمر طربوشاً يؤثر ان يتركه مرتداً إلى خلف في صحن الرأس، وكانت مشيته (الزكرتية) تذكر بقبضايات باب توما

والقصاع القدماء. ولا عجب اذن ان لقبه الذي عرف به جاء متطابقاً فهو (ابو دياب). على انه كان رقيق الحاشية، دمشقي الطلة شامي الاداء يحبه زبائنه وعماله وموظفوه. وكانت المطابع وعمالها واصحاب الصحف ومحرروها يشكلون معاً اسرة صحافية مهنية واحدة في قطرنا ويعرف بعضهم بعضاً.. وكان التعاون والتحابب من أبرز صفاتهم. لذلك لم تكن في الوسط الصحافي السوري هزات ومشاكل مهنية في أية صورة كانت. أنا شخصياً زاملت هذا الوسط لسنوات تبقى ممارساتها وذكرياتها محفوظة عندي في حنايا القلب وعميقة التأثير في الوجدان، واعانتني في مهام اعلامية شغلتها لاحقاً وفي ظروف صعبة وجدت نفسي فيها بين زملاء قدامى احباء اعزاء متعاونين بأخوة واخلاص.

يبقى القول ان كثيرين تخرجوا صحافيين من مؤسسة جريدة النصر «المستقلة» كما كان يحلو لصاحبها ان يعلن عنها. والصحيح هو انها لم تكن مستقلة عن الافكار والمعتقدات التي التزم بها على المستوى الشخصي كرجل صحافة وسياسة وثقافة بل كان استقلالها يعني عدم ارتباطها بحزب أو جهة سياسية معينة. بينما كان صاحبها من الناحية الاجتماعية والعاطفية صديقاً لمعظم قادة الاحزاب ورجالها رغم تباعد الافكار والمعتقدات السياسية. ولم نعرف مرة واحدة انه تعرض لبعض الاحزاب «المتطرفة» بمثل العنف الذي كان يعمد اليه آخرون. لكنه فتح صدر جريدته في نفس الوقت لكتّاب يؤثرون العبارة الحادة واللهجة الصاخبة في تعاطيهم الكتابة السياسية على انه كان يفسح المجال ويرحب في الرد عليهم. وهذا نوع من الاستقلالية الصحيحة المشوبة بالحياد.

وتميزت جريدة النصر أيضاً بانها ضمت إلى صفوفها كتّاباً تخصصوا في الشؤون الأدبية والفنية والعلمية والمهنية وابتكرت ابواباً بدت جديدة على صحافتنا، وزوايا يومية ثابتة وريبورتاجات متنوعة أقبل عليها القراء بشغف واعتمدت مراسلين في مختلف الانحاء فكانت قوية الخبر متفردة فيه.

ولم يكن هناك ما هو أدل على انغماس الصيداوي الكبير في السياسة من ترشيح نفسه للانتخابات في احدى الدورات، لاسيما ان تحالف خالد العظم رئيس وزراء سورية الاسبق معه كان ينطوي على دلالة سياسية. ذلك لأن العظم كان ذا لون

واتجاه سياسي معين رغم حرصه في القول عن نفسه انه سياسي مستقل، ولعل اختيار العظم لهذا الصحافي المتميز كمرشح بارز في قائمته الانتخابية انما يدل على ما كان للصيداوي من رصيد انتخابي في العاصمة وما كان لتوجهاته السياسية في صحيفته من احترام وتقدير، فضلاً عن مكانته المحلية في الحي الكبير العريق من أحياء العاصمة الذي ينتمي اليه. وكان لهذه الامور دورها المؤثر في اوضاعنا الانتخابية الماضية. واذ نستذكر بان العظم كان يدعى (الرأسمالي الاحمر) فقد نستخلص نتيجة محددة عن خلفية خياراته وتحالفاته. وكانت جريدة النصر احدى صحيفتين دمشقيتين من كبريات الصحف «الثانية هي الرأي العام» أخذتا جانب خالد العظم مرشحاً لرئاسة الجمهورية في منتصف الخمسينات. وكان العظم مرشح الوسط واليسار المتطرف وسواد المثقفين في البلاد... لكنه سقط أمام الرئيس الراحل شكري القوتلي آخر رؤساء ذلك الزمان المفعم بالاحداث وبسطور تاريخ سورية الوطني وأريجها الذي ما يزال يعبق في الآفاق.

وماذا أيضاً عن وديع صيداوي؟:

في اليوم السابق لتشييعه سألني الصديق المحترم الاستاذ عبد الغني قنوت: «ابو أحمد» ماذا عندك غداً؟ قلت المشاركة في واجب تشييع الاستاذ وديع صيداوي (وهو يعرف ما يربطني بالعزيز «رجا» من صداقة ومحبة.) قال لي: «وأسفاه... لقد كان وديع صيداوي بحق انساناً كبيراً كريم النفس سخي العاطفة تجاه بني قومه وبلده. ثم حدثني «ابو أحمد» كيف فوجىء به يزوره في احدى مستشفيات لندن حيث كانت زوجته الراحلة تعاني من مرض قاتل. وكان يصحبه نجله الاستاذ رجا. وقال: كنت في وضع نفسي مؤلم يحيطني بعض الاصدقاء بعواطفهم. ثم جاءت مبادرة «ابي رجا» بلسماً آخر، ذلك لانه لم تكن تربطني به من سابق صلة صداقة متينة وربما كان على خلاف سياسي وعقائدي معنا فيما مضى وكما تعلم. لذلك جاءت زيارته لتؤكد على سمو اخلاقه وعلى متانة وقوة الروابط التي تجمع بين ابناء وطننا وتسمو على كل خلاف سياسي أو عقائدي. وأرى بان الواجب يفرض عليّ المشاركة في تشييعه وتقديم العزاء لاسرته الكريمة. واذكر بان العزيز «ابو أحمد» حدث صديقه غبطة البطريرك هزيم، ذلك الحبر

الكبير، عن هذه الواقعة في زيارتنا لغبطته يوم التشييع ، فاكبرها مشيداً بالراحل العزيز الذي نال من بركته الكنسية وتقريظه في سياق الصلاة الجنائزية ما يعتبر شهادة غالية من هذا المرجع الديني العربي العريق بحق من خدم وطنه وطائفته باخلاص.

ان ما تقوم به مؤسسة «دار الثقافة» تجاه رجالات البلد التاريخيين وقادة الرأي والفكر فيه، إنما يؤنس نفوس ابنائه ويؤكد الاعتراف بما قدموه إلى وطنهم من خدمات جليلة في مجالات السياسة وفي حقول الثقافة والفكر ورحاب الأدب.

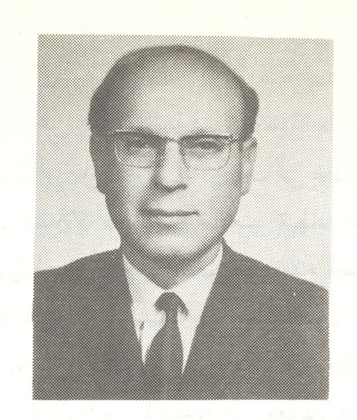
واذا لم يكن للصديق العزيز زميل الدراسة الجامعية الأديب الشاعر الاستاذ مدحت عكاش من مأثرة ـ على كثرة مآثره ـ في محراب الثقافة والعلم والتراث إلّا ما كان من تكريمه صفوة الكتاب والأدباء من الصحافيين والمفكرين لكفاه فخراً في وقت عز فيه مثل هذا التكريم.

ان الاعداد الخاصة ـ كمثل هذا العدد ـ التي اصدرتها سابقاً دار الثقافة ومجلتها لتكريم وتخليد أولئك الاخيار، ستبقى صرحاً ابدياً يجسد ذكراهم، ويتحدث عن مآثرهم وآثارهم فيما هو يماثل تمثالاً يقام لكل واحد منهم... نجيب الريس وشفيق جبري ونصوح بابيل ووديع الصيداوي وما سيتبع من اسماء سيصيبها الحظ من التكريم على صفحات هذه المجلة المضيئة في سماوات تكاثر ضبابها حتى كاد يعيق رؤيتنا لامثال هؤلاء الرجال الافذاذ من رواد القلم والثقافة والأدب والعلم.

ان هذا العدد الخاص يتميز بان كتّابه لم يحترفوا الكتابة الجوالة، ولا التكسب الرخيص في نشرة رخيصة... وإلّا فماذا عند مدحة عكاش ليقدمه لكتّابه أغلى وأثمن من صفحات مجلته المكافحة النظيفة السطور النظيفة التمويل؟ وهل يبقى للكلمة دور وثمن إلا ان تكون في خدمة التاريخ والتذكير بدور رجال هم في مستوى التاريخ... تاريخنا السياسي والأدبي؟

وأخيراً حبذا لو يعيد آل الصيداوي الكرام احياء جريدة «النصر» من جديد على نحو ما فعل آخرون من اعادة اصدار صحف عربية تاريخية مرموقة على مستوى اوسع، في اوروبا مثلاً، حيث الامكانات الفنية أكبر وأسهل لتوزع على مدى اتساع الوطن العربي وسورية خاصة. مع تكرار العزاء لنجلي الفقيد العزيزين الاستاذ رجا والدكتور سامي والاسرة جمعاء... واسرة الصحافة السورية الكريمة.





القلم الذي غاب

بقلم

الأستاذ عبد الغني العطري

ما من ريب ان غياب الزميل والصديق العزيز وديع صيداوي خسارة لا تعوض.

وما من شك ان توقف قلمه عن الابداع الصحفي، خسارة للصحافة لا تعد لها خسارة.

عرفت وديع صيداوي وانا فتى على مقاعد الدرس.

كان ذلك في منتصف الثلاثينيات. كان داء الصحافة، ـ وعشقها على الاصح ـ قد بدأ يتسرب الي، ويسري في عروقي، كالدم الذي يغلي في صدور الشباب.

في تلك الايام، كان وديع صيداوي مديراً مسؤولاً لجريدة «الف باء»، التي كان يصدرها المرحوم يوسف العيسى. وكان صاحبها يرفع شعاراً لها، يعلنه تحت اسم جريدته. هذا الشعار هو هذه الحكمة الحكيمة، التي طالما اعجبت بها، ورددتها امام الآخرين: «كن في تفقد عيوبك كعدوك ـ حكمة عربية.

كانت الصحف يومذاك تصدر بأربع صفحات، ويحتل الزاوية العليا من الصفحة الاولى، رقم العدد، كما يحمل السطر الاخير من الصحيفة الرابعة، هذا السطر، وبشكل يومي دائم: «المدير المسؤول: وديع صيداوي». منذ تلك الفترة رسخ اسم الاستاذ وديع صيداوي في ذاكرتي ثم شاءت الاقدار. بعد سنوات ان اصبح زميلاً له، حين اصدرت مجلتي الاولى «الصباح» الادبية في العام ١٩٤١.

وسئم الاخ الوديع، العمل في جريدة تصدر لحساب غيره، وطاب له ان يستقل بمشروع صحفي خاص. فأصدر جريدته الناجحة «النصر»، فبشّر فيها بالنصر على الديكتاتورية والفاشية. وكان ذلك بالطبع ايام الحرب العالمية الثانية.

صدرت «النصر» ونار الحرب مشتعلة، تكاد تحصد الاخضر واليابس. واستطاعت بعد برهة وجيزة من الزمن، ان تتبوأ مكانتها الرفيعة بين الصحف اليومية العديدة، واستطاع صاحبها الاستاذ وديع صيداوي، ان يحتل مكانة متميزة بين اصحاب تلك الصحف، وبينهم اعلام في السياسة والادب والفكر والقلم، امثال الزملاء الراحلين: نجيب الريس، ونصوح بابيل، ومعروف الارناؤوط، ويوسف العيسى، وسامي الشمعة وغيرهم.

قلت ان جريدة النصر استطاعت ان تحتل مكانة رفيعة بين الصحف. وهذا صحيح دون ريب، ذلك لان صاحبها كان يوليها كل عناية، وكل اهتمامه، وينفق عليها ـ عدا المال الوفير ـ عصارة فكره وعقله ونضجه الصحفي.

كان «ابو رجا» يسهر في مكتبه الى ما بعد منتصف الليل، يتقصّى الخبر الصحيح، ويحرص على تقديم المقال الناضج المدروس، والتحقيق الدقيق،

والحدث الاكثر جدة وطرافة الى القارىء.

كان يحرص على البقاء في مكتبه الى حين مولد العدد الجديد، وظهور النسخة الاولى منه، حيث يطمئن على سلامة العمل والجهد، وخلوه من أية زلة، أو خطيئة، قد تسيء الى الجريدة، أو تحرمها من احتواء غير جديد، له اهميته على الصعيدين المحلي والدولي.

كان وديع صيداوي ينفق على جريدته بسخاء، ويحرص كل الحرص على ان تكون وتظل الاولى بين الصحف. ومن اجل ذلك كان يتعاقد على العمل مع صحفيين وكتاب كبار، يحللون المواقف السياسية، ويدبجون المقالات والتحقيقات، بحسهم المرهف، وذوقهم السليم. وهذا دون ريب السبب الرئيسي في نجاح جريدته.

* * *

لم يكن وديع صيداوي صحفياً كبيراً بقلمه المرهف، وحسه الصحفي فحسب، بل كان كبيراً وناجحاً ومتفوقاً، لانه كان يعرف كيف ومن اين يلتقط الخبر، وكيف يصوغه ويحلله، ويدرس خلفياته. ويعرف من ثم كيف يختار المادة الاقوى والاطرف والانضج لجريدته. وهذا الجهد المتميز لا يمكن ان يضيع سدى. فالقارىء والسياسي، والدوائر الرسمية، والجهات العليا، كلها تقدر الجهد المبذول في الجريدة، وهي بالتالي تعرف وزن واهمية الكلمة أو التعليق الذي تنشره جريدة «النصر».

واستطاع وديع صيداوي وجريدته الكبرى، ان يكونا مدرسة صحفية متفوقة، تخرج منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الاستاذ احمد عسه، الذي اصبح فيما بعد صاحب جريدة «الرأي العام» ومديراً عاماً للاذاعة: وتخرج منها المرحوم بشير كعدان، الذي اصبح بعد ذلك صاحب جريدة «الجمهور». كما تخرج منها المرحوم زهير الكزبري، الذي انتقل فيما بعد الى الولايات المتحدة، واحتل موقعاً كبيراً في الامم المتحدة.

وهناك اعداد من الصحفيين والكتاب والادباء، مارسوا العمل مع زميلنا الكبير الراحل، وقبسوا من فنه وادراكه الصحفيين، واحتلوا مراكز اعلامية لها شأنها ووزنها في الوطن.

من هنا ندرك ان غياب الاخ والزميل الكبير الاستاذ وديع صيداوي خسارة لا تعوض... وغياب قلمه المرهف عن الابداع الصحفي، خسارة لا تعد لها خسارة في عالم الصحافة.

* * *

بقي ان نقول كلمة لا بد منها في الزميل العزيز الراحل وديع صيداوي.

كان «ابو رجا» انساناً طيباً ونبيلاً، ومحباً للمرح والنكتة والنادرة.

كانت مجالسه تضج بالجو المرح والضحكة البريئة، والنادرة اللطيفة. كان يضحك للنكتة من اعماقه، ويتذوقها ويجيد التعليق عليها، بنكتة أو نادرة اكثر لذعاً وإضحاكاً.

وقد اتيح لي ان ارافقه في عدد من الرحلات الى الخارج، فكنت اجده رقيق الحاشية، لطيف المعشر، وديعاً كاسمه، حريصاً على ان لا يجرح أو يؤذي احداً بكلمة أو لفظة.

رحم الله اخانا وزميلنا الكبير وديع صيداوي، والهم نجله رجا الصبر والسلوان. لقد خلّف «ابو رجا» بعد رحيله ذكريات صحفية عطرة لا تزول، وترك بصماته واضحة في النهضة الصحفية المعاصرة.

عبد الغني العطري

وديعَ صيداوي

المعلم أو الزميل

بقلم الأستاذ :



أحمد عسه

اليوم، واليوم على التحديد، يوم الفاتح من حزيران الماضي، تلقيت وأنا في الرباط، عاصمة المغرب، هاتفاً من ابنتي التي تعمل في اليونيسكو في باريس تقول: قبل زهاء.. شهرين، عندما كُنت في الولايات المتحدة للعلاج، فجعت اسرة الصحافة السورية بوفاة ركن من اركانها الاوائل، الاستاذ وديع صيداوي، لقد كنت في العائلة ممن سمع منك كثيراً وبمناسبات متعددة عن عملك مع المرحوم الاستاذ الصيداوي في «النصر» ثم عن زملائكما معاً يوم أن أصدرت «الرأي العام» بعدها. وقد علمت الآن أن مجلة «الثقافة» السورية عزمت على اصدار عدد خاص عن المرحوم الاستاذ الصيداوي، وما أظنك إلّا مسهماً بهذا العدد بمقال.

شرقت عند سماع النبأ بدمعة الحسرة مرة، وبدمعة أحرّ وألسع مرتين: دمعة أن أكتب مؤبناً المعلم فالزميل دون أن يسمح لي الوقت بتوثيق ما أكتب، وأن تكون كلمتي هذه من فيض الخاطر ومما تبقى في الذاكرة من أصداء أيام عشتها بكل جوارحي مع الانسان الذي احببت واحترمت وتعلمت منه غير قليل.

يوم أن تتوفر الظروف الموضوعية اللازمة لدراسة علمية للصحافة السورية وأثرها في قضايانا القومية وقضايا تحررنا الوطني، وتفحص ما قامت به كل صحيفة في ميدان الكفاح لنيل الاستقلال والسيادة ايام الانتداب، وما أسهمت به بعد الاستقلال من كفاح للانفلات من تخلف موروث في ميادين الاجتماع والاقتصاد بخاصة، أظن ان من بين ما ستنتهي اليه هذه الدراسة المناداة بافساح مكان بارز للاستاذ وديع صيداوي وجريدته «النصر»، عندما توضع قائمة بأسماء الصحفيين والصحف التي كانت اكثر اثراً ولمعاناً في تاريخ الصحافة السورية، ولاسيما صحافة حقبة الاربعينات من هذا القرن.

السؤال الذي يفرض نفسه هنا: ماذا فعل الاستاذ صيداوي عندما عزم على اصدار «النصر»، وما هي العوامل التي اجتمعت له وساعدت على نجاحه؟..

قبل التطرق الى التفاصيل أو الى بعض، لا بد من وقفة عند مدرسة صحفية لم تكن معروفة قبل «النصر» في سورية. مدرسة ادخلها الاستاذ وديع صيداوي ورفع جدرانها مدماكاً بعد مدماك، ولسنوات طويلة، يوم ان بدأ عمله الصحفي الى

جانب شيخ الصحافة السورية المرحوم الاستاذ يوسف العيسى في جريدة «الف باء» الدمشقية. واختص نفسه بتتبع الاخبار الدولية والتقاطها من النشرات الاذاعية الدولية على تباين السياسات التي توجهها، حتى غدت جريدة «الف باء» تتميز على الصحف الدمشقية الاخرى بدقة اخبارها الخارجية التي يلتقطها الاستاذ وديع صيداوي ويحررها، وبمساعدة نجل الاستاذ يوسف العيسى التي كانت له زاوية يومية قصيرة تلسع من تتناوله ولا تدميه، وان كان بعضهم يفضل ان يسيل منه الدم بدل التعرض لوخزة ابرة النحل في مباءة الاستاذ العيسى أو المرور على سن قلمه في واحدة من افتتاحياته القصيرة.

تجربة الاستاذ وديع في «ألف باء» تضاءلت مع الزمن فجعلته عندما عزم على اصدار «النصر» في اوائل الاربعينات، يُدخل الى الصحافة السورية مدرسة صحفية جديدة، مدرسة «صحافة الخبر»، بعد ان كانت الصحافة السورية كلها تنتسب الى «صحافة المقال». ويوم ان كان الخبر يقدم الى القارىء في هذه الصحافة مصاغاً بأسلوب أقرب الى ان يكون خطابياً، منه الى الاسلوب الهادىء اللاانفعالي، لان وعي المواطن السوري ومداركه الوطنية كان قد تطور وتطورت، وارتقى وارتفعت، في ظل كفاح وطني شامل دام زهاء ربع قرن الى حد اصبح معه ايراد الواقعة كخبر، يكفي لاحداث رد الفعل الشعبي الشامل واللازم.

عامل آخر ساعد مدرسة صحافة الخبر على ان تشق طريقها وتتبوأ صدارة مرموقة بين القراء. نعني به عامل الرقابة المسبقة التي كانت تفرضها سلطات الانتداب على الصحف، وشطبها لكل ما يحرك نفوس افراد الشعب ويهيجها، تحت ستار عدم الاضرار بالمقتضيات العسكرية للحلفاء، ومنهم اذ ذاك الجيوش البريطانية التي دخلت سورية عنوة من فلسطين، وراحت حكومتها تتجاوب مع مطالب الشعوب العربية في سورية ولبنان بخاصة، باطلاق وعود تتنبأ بنيل سوريا ولبنان الاستقلال والسيادة التامين.

اختفاء مبررات «المقالة النارية» من جهة، وعدم تمكين الرقيب أي صحفي من نشر مثل هذه المقالات حتى ولو ظهر بين وقت وآخر مبرر لكتابتها، وأثر وقائع الحرب العالمية الثانية ونتائجها على الطموحات الوطنية والتطلعات القومية للشعوب العربية، أحلّ «الخبر» المنزلة الاولى من اهتمامات المواطن العربي بعامة والسوري بخاصة. وهذا ما ساعد المرحوم الاستاذ صيداوي على جعل «النصر» تتقدم صفوف الصحف الاقدم منها صدوراً، وتخطيها صفاً بعد صف، الى ان اصبحت بعد وقت قصير نسبياً في الصف الاول، ان لم أقل في صف متميز طوال غير قليل من حقبة الاربعينات.

لا يظنن ظان ان اكباري لمعلمي فزميلي هو الذي دفعني في هذه الدرب الضيقة، واني لما احسست بهذا الضيق رحت أجهد لاجعل من الدرب الضيق جادة عريضة، مستعيناً بقوة مدافعة منكبي تارة، وبالافادة تارة اخرى من جلال الموت الذي يجعل الاذهان تنصرف للتأسي على الفقيد اكثر من انصرافها الى تدقيق ما يروى عنه يوم وفاته، وذلك اني شديد الحرص على الدقة ان كتبت أو رويت، وفي كل الظروف. ومن معدن هذه الدقة أروي انني يوم ان كنت مأزال سكرتير تحرير «النصر»، يوم ان كانت مكاتب «النصر» شقة من اربع غرف في الطابق الاول من بناء يطل على ساحة المرجة، دخل الاستاذ وديع الى مكاتب «النصر» عصر احد الايام، يتبعه حمّال يحمل على ظهره جهازاً لاسلكياً بحجم راديو تلك الايام. ولما وُضع الجهاز على مكتب اقرب غرفة للمدخل، التفت الي المرحوم وديع وقال: هذا الجهاز الجديد ادخلته وكالة انباء رويتر حديثاً في العمل، ليلتقط عليه زبائنها الخدمات الاخبارية التي يشتركون بها ويدفعون ثمنها شهرياً. وسمت وكالة رويتر جهازها الجديد هذا «هيل شرايبر» وأحلّته محلّ جهازها القديم الذي كان موظف الالتقاط يلتقط عليه اخبارها المبثوثة على طريقة المورس.

وكان الاستاذ وديع يحتضن الجهاز الجديد وكأنه يحتضن النصر المؤمَّل، وتَعْرُضُ ابتسامته حتى تصبح ضحكة طافية على وجهه كله كلما ذكرني ان الزميلات لن يستطعن الافادة من خدمة وكالة رويتر، حتى ولو توفر لبعضها دفع قيمة الاشتراك الشهري، لان ما من صحيفة دمشقية اخرى غير «النصر» كان يتوفر في جهازها من يتقن متابعة الاخبار بالانكليزية والفرنسية، ثم ترجمتها الى العربية مصاغة الصياغة الصحفية الافضل.

ضحكات الاستاذ وديع زادت أضعافاً عندما قلت له تصوير يا استاذ حال الرئيس الجابري عندما يمكن ان يعرف غداً أو بعده، ان «النصر» تقف على اخبار سياسية هامة جداً

تتعلق بسورية أو بأي قطر عربي آخر قبل ان يقف دولته على أي منها، سواء أكان في مكتبه برئاسة الوزارة، أو جالساً على كرسيه بوزارة الخارجية.

وتشاء الاقدار ان تتاح للنصر فرصة اختبار الجهاز الجديد، وان تكون تجربة الاختبار مساء يوم وصول الجهاز، ومساء يوم الحديث عن رد فعل الرئيس سعدالله الجابري عندما يعرف ان الدولة غدت كالزوج، لن تكون بعد اليوم اول من يعرف. ذلك انه ما ان حلّت الثامنة مساء حسب توقيت غرينتش. حتى كان الاستاذ وديع منتصباً خلف جهاز الالتقاط الجديد وقد ضبط ابرة الالتقاط على طول البث، وتحرك الشريط الابيض ينقل الخبر تلو الخبر، حتى ظهر خبر جعل الاستاذ وديع ينادي المحررين في المكتب للالتفاف من حوله.

جوهر الخبر الملتقط، تفاصيل غير قليلة عن اتفاقية بريطانية ـ فرنسية وقّعت ذلك اليوم، وعرفت فيما بعد باسم «اتفاقية بيغن ـ بيدو»، تتعلق باتفاق الحليفين على الوضع الجديد لكل منهما مستقبلاً فوق الاراضي السورية والاراضي اللبنانية.

التفاصيل الدقيقة للاتفاقية لم تعد تحضرني، وليس في مكتبتي الجديدة شيء من الارشيف الصحفي الذي خلّفته ورائي في دمشق منذ ربع قرن، يوم ان صودرت «الرأي العام». ولكن ما بقي حياً في الذاكرة ان هذه الاتفاقية كانت تضمن انسحاب القوات الفرنسية من سورية ومن لبنان، ولكنها لا تضمن انسحاب القوات العسكرية البريطانية التي دخلت سوريا ولبنان بعد انتصارها في الحرب على قوات فيشي، بعد ان اصبح لفرنسا حكومتان، تحالف احداهما الحلفاء، وتحالف الثانية هتلر وتقاتل مع دول المحور.

انفراد «النصر» في نشر نبأ الاتفاقية ومحتوياتها، احدث هزات كهزات الزلازل في كل من سوريا ولبنان، وحرك الارض لتموج تحت أقدام الذين كانوا يقرون سراً جعل الجلاء الاجنبي عن سوريا ولبنان يقتصر على قوات الجيش الفرنسي، ولا ينسحب على قوات الجيش البريطاني في نفس الوقت، متذرعين بان القوات العسكرية البريطانية هي التي انقذت سوريا وحكومتها وزعامتها الوطنية ومجلسها النيابي من الموت المحقق، يوم ان امرت القيادة الفرنسية المستقرة قبالة البرلمان السوري قوات اللفيف الاجنبي في الجيش الفرنسي برمي البرلمان السوري بقنابل المدفعية الحارقة، والهجوم على البرلمان لاحتلاله وتقتيل حرسه، رغم انهم جميعاً كانوا من رجال الشرطة الذين لا يزيد تسليحهم عن حمل مسدس، وأشفعت هذا كله بمحاولة الوصول الى منزل الرئيس القوتلي لتطويقه واعتقاله رغم مرضه، وفعلت ما هو شبيه بذلك في بيروت، يوم ان اعتقل رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، ورئيس الوزارة كبير الزعماء المسلمين المرحوم رياض الصلح، مع العديد العديد غيرهم من اركان الدولة في لبنان.

هذا الجنون الاستعماري الذي جعله اليأس من الحفاظ على ما تبقى من الامبراطورية الفرنسية الى نهاية الحرب العالمية الثانية على الاقل يصبح جنوناً مسعوراً، اتاح الفرصة امام المستر تشرشل وحكومته، لاصدار أوامر الى قيادة الجيش البريطاني الثامن المرابط في الشرق الاوسط، ان يدخل هذا الجيش الى سوريا ولبنان من فلسطين عنوة، وان تُشَلْ القوة العسكرية للقوات الفرنسية، وان توضع مؤقتاً في معسكرات مسيّجة لا تستطيع مغادرتها إلا باذن القيادة البريطانية، ريثما يبت في النهاية بمصير التواجد العسكري الاجنبي في سوريا ولبنان؛ منعاً لتحرك الجماهير الشعبية ضد الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا، في كل البلاد العربية، يوم ان كان مصير الحرب العالمية الثانية يتقرر في ميدانين، احدهما ميدان الشرق الاوسط، حيث للعرب وموقفهم وجود مرجّح.

قرار تشرشل، ودخول الجيش البريطاني الثامن حرباً ضد القوات الفرنسية الى سوريا ولبنان. ونصرة الحكومة البريطانية للمطالب الوطنية السورية واللبنانية، جعل البعض ـ ومن بينهم بعض وزراء الحكم السوري، ينظرون الى استمرار الوجود البريطاني في سوريا ولبنان بعد جلاء القوات الفرنسية عنهما بعين عاطفة عطفاً يخامره خجل يمنع اصحابه من الجهر بما يفكرون وكيف يفكرون. ولكن مثل هذا التفكير المبلبل لم يعمر، بل لم يكتب له ان يخرج من رحم امه ليتنفس من الهواء حوله، ليعرف ان كان قادراً على الحياة أو لا، ذلك ان «النصر» يوم ان انفردت بنشر نبأ اتفاقية بيغن ـ بيدو وأهم نقاطها، وضعت للنبأ عناوين تقول «لا لانسحاب القوات الفرنسية

وحدها وبقاء القوات البريطانية، وتنادي بانسحاب القوات العسكرية الاجنبية كلها معاً وفي وقت واحد.

هذا الرأي الذي طلعت به «جريدة النصر»، اصبح الشعار المقبول والمرفوع في القصر الجمهوري وفي سرايا الحكم، وتحت قبة البرلمان، وعلى ألسنة رجال السياسة في مختلف الاحزاب والاتجاهات قوات «معتدية»، ولكنه سوّى بينهما بطلب جلائهما معاً وفي وقت واحد، لان سورية التي اكتسبت الاعتراف باستقلالها دولياً يوم ان دخلت الامم المتحدة كعضو مؤسس، تحرص على سيادتها الوطنية ان تُمَسَّ بوجود أي قوة اجنبية فوق أراضيها.

ما اردت ان اقوله هنا، هو ان مطلب الجلاء عن سوريا كان مطلباً وطنياً منذ ان فرض على سوريا الانتداب، وفرضت على سوريا حدودها المصطنعة. ولكن الذي حول الجلاء من مطلب مرتجى الى اطار عام لواقع منفذ، كانت معارك النضال الوطني السوري المتلاحقة في كل الميادين والنهّازة لكل المناسبات، وان الذهن السياسي اللماح للاستاذ وديع صيداوي هو الذي اشعل شرارة فتيل المعركة الحاسمة، يوم ان قالت «النصر» لا لانفراد القوات العسكرية الفرنسية بالجلاء وبقاء القوات البريطانية، ونادت بان الجلاء يجب ان يكون للقوات العسكرية الفرنسية والبريطانية معاً.

رأي صائب كهذا عندما ترافق مع الحدث، ألهب الشعور الوطني للجماهير السورية، وجعل افئدة العرب في كل اقطارهم تتحرك اذ ذاك لتكون مع دمشق ومن حول رجالاتها. وهكذا كان الاجماع العربي يدعّم الموقف العربي - السوري، وتوحد الموقفان الرسمي والشعبي في العواصم العربية حول قضية محددة، عندما كان الاستاذ صيداوي يتابع كدحه اليومي في «نصره» باحثاً عن نبأ جديد آخر ينفرد بنشره، معتبراً ان دخوله قائمة الذين تركوا اثراً بارزاً في تاريخ سوريا المعاصر هو من منجزات الامس، وان الصحافة تطلب كل يوم انجازاً جديداً، لان انجاز الامس لا يشفع لاي تقصير يقع اليوم.

لا يظنن ظان، ان هذه الحادثة البارزة كانت بيضة الديك، وان اسهام «النصر» في شق درب تاريخ سوريا صرفنا عليها. ذلك اني اوردتها للتمثيل لا للحصر، واذا تجاوزتها الآن الى باب آخر من ابواب الصحافة، فما ذلك إلا لاني اكتب كلمة عن معلم وزميل، لا كتاباً عن الاستاذ وديع صيداوي و«النصر».

باب الصحافة الآخر الذي اعني، هو باب البرلمان والبرلمانيات. ذلك ان الاستاذ وديع كان اول صاحب جريدة سورية أولى للبرلمان وجلساته ومناقشاته وما يتطرق اليه من نقاش اهتماماً كبيراً، كان يستهدف بالنهاية تطوير الحياة البرلمانية، وتحصين البلد من تجربة النظم غير الدستورية.

وقع عبء متابعة الجلسات البرلمانية وتحريرها ومتابعة المناورات البرلمانيةعلى عاتقي، من بين المهام الصحافية الاخرى التي اضطلعت بها في «النصر» يوم ان كنت محرراً فسكرتير تحرير فرئيس تحرير. وقد بلغ الاقبال على متابعة هذا الباب، حتى بين النواب انفسهم ان اصبح بعضهم يقول مثلاً صياغة «النصر» لكلمته كانت أحياناً أحسن تعبيراً من الصيغة التي استعملها في كلمته المرتجلة.

في أحيان كثيرة كان متعهدو مكاتب بيع «النصر» يتصلون بمدير التوزيع، طالبين منه زيادة - وفي بعض الاحيان مضاعفة - كمية ما يرسل اليهم عادة كل صباح من اعداد «النصر»، عندما تكون هناك جلسة برلمانية حامية.

وعندما لاحظت الصحف الاخرى شدة الاقبال على قراءة جلسات البرلمان، جعلوا هذا الباب ثابتاً في صحفهم، بعد ان كان باب مناسبات ثانوية.

حواريو القصر الجمهوري قالوا مرة للاستاذ وديع: انت تقول ان جريدتك مستقلة. ولكن عندما نقرأ الجلسات البرلمانية في جريدتك، نرى ان المعارضة والمعارضة وحدها، هي ملكة المسرح البرلماني، وانه لا اثر يذكر لنواب الحكم.

ضحك المرحوم صيداوي واجاب: تعهدت لقارئي بالحياد، ولم اتعهد له بتقديم كفتين متعادلتين في كل مرة يضع النواب بضائعهم في ميزان البرلمان... اذا اردتم كفتين متعادلتين عليكم إما اجتذاب بعض النواب المثقفين الى صفوف الحكومة، أو ارسال بعض نوابكم الى صفوف المعارضة، ولكن اياكم من التفكير بتزوير الوقائع أو منع نشر المناقشات البرلمانية في الصحافة.

الاهتمام بالبرلمان ومناقشاته، جعل نخبة من النواب تعتبر «النصر» جريدتها، وبذلك صارت مكاتب «النصر» منتدى

صباحياً صغيراً للنواب أو لبعضهم. وفي المنتدى تسمع الكثير مما يقال، ومما يعمل، ومما يمكن ان يكون مشروعاً يعرض للنقاش في البرلمان، أو استجواباً يوجه الى الحكومة أو أحد اعضائها.

العديد من الموضوعات التي يدور عنها الحديث، تصلح ان تكون خبراً مهماً ينشر. وتنفرد «النصر» في نشره، لان مكاتبها اسهمت بتوفير الحد الذي ولدت فيه الفكرة. وما لم يكن خبراً جديداً للنشر، يمكن ان يكون موضوع مقال أو تعليق أو ابداء وجهة نظر قابلة للنقاش على صفحات «النصر». وهكذا كان منتدى «النصر» يزداد ازدحاماً، كلما رأى النواب اسماء وافكار رواد المنتدى تظهر على صفحات «النصر» يومياً، بينما كان معنى ذلك بالنسبة «للنصر» مصادر اخبارية اضافية، وآراء سياسية وغير سياسية لنخبة من النواب، اصبحوا يسهمون بالتفكير ببعض ما تنشره «النصر» وان اسهم بعضهم أحياناً بالكتابة بقلمه وبنفسه ولنفسه.

هذا المنتدى الصباحي في مكاتب «النصر» كان له مقر فرعي لمن اراد ارتياد المنتدى بعد الظهر. وكان هذا المقر الفرعي مقهى يقع - أو كان يقع - على ضفة بردى مقابل المديرية العامة للشرطة والامن العام، ان كان مقر مديرية الشرطة مازال في المكان الذي كان فيه قبل ربع قرن، أي يوم كتب عليّ ان اغادر دمشق آخر مرة.

في هذا المنتدى الفرعي الملحق بمنتدى «النصر» الصباحي، ولدت فكرة وضع قانون انتخابات جديد يحل محل قانون الانتخابات الموروث من عهد الانتداب، ذلك ان قانون الانتخابات العامة الموروث كان يمنع المواطن عند بلوغه سن ممارسة حقه بالانتخاب من هذه الممارسة، ويفرض عليه الاشتراك بانتخابات عامة على درجتين: في الدرجة الاولى ينتخب الناخبون لا النواب المرشحين، بل وجيهاً من وجهاء الحي أو القرية ليكون ناخباً ثانوياً. وفي المرحلة الثانية يؤتى بهؤلاء الناخبين الثانويين، ليختاروا هم النواب الجدد من المرشحين، دون أية اجراءات تضمن للناخب الثانوي حقه في السرية لحظة اختيار نائبه أو نوابه، وبالتالي تجعل الناخب الثانوي مراقباً من اجهزة عديدة وسط جو مملوء بالوعود والوعيد.

قانون الانتخابات الجديد الذي نادت المعارضة البرلمانية بضرورة وضعه والغاء القانون القديم الموروث، لقي معارضة قوية من الاكثرية الحكومية، تحركت للرد عليها مظاهرات الطلاب واضرابات الاسواق، وحملات اسهمت بها بعض الصحف تتقدمها «النصر».. ولم يحسم الموقف إلا اقتراح قانون جديد للانتخابات، كلفت المعارضة البرلمانية رجل القضاء والقانون المرحوم الاستاذ هاني السباعي بوضعه في حين تولت «النصر» تأييده ودعمه، لاسيما بعد ان تحولت بعض جلسات البرلمان الى مسارح حل فيها ضرب الكف ولكمة البوكس الموجهة الى النواب المعارضين محل النقاش القانوني، بعد ان نقل عن كبير السلطة انه أوعز لبعض النواب من خاصته، ان يسكتوا ألسنة دكاترة الحقوق من النواب المعارضين، وان يخرسوا ذوي الالسنة الفصيحة، لاسيما اذا كانوا يتمتعون بالجرأة الى جانب علمهم وفصاحتهم.

وقفة اخرى مشهودة كانت للاستاذ صيداوي في «نصره» وقفته مع العديد من الزملاء ضد تشريع يعطي السلطة الادارية حق تعطيل أي صحيفة، لاي فترة تشاء من الزمن، دون تحقيق أو سؤال، ودون توجيه اتهام وسماع دفاع!..

هذا التعطيل الاداري للصحف ابتكرته المفوضية الفرنسية ايام الانتداب، لترهب الصحافة الوطنية أو تخرسها. ومن المؤسف حقاً انه بقي نافذ المفعول، وموضع تمسك الحكم الوطني، في مطلع عهد الاستقلال. وقد استخدم مراراً على غير وجه حق.

كان من المعقول ان تجلو هذه التشريعات مع جلاء القوات الفرنسية عن الاراضي السورية، لاسيما وان رجالات الحكم الوطني كانوا في طليعة المنددين بها ايام ان وضعها الانتداب. فلما ان ابقوها مرعية، واستخدموها لحماية انفسهم واعمالهم من النقد يوم ان اصبحوا هم السلطة والحكم، كان من الطبيعي ان تدافع الصحافة عن نفسها ضد سيف ظلم سلت فوق رقابها جميعاً، وان يكون الاستاذ صيداوي من الذين اسهموا في هذه المعركة اسهاماً متواصلاً لم يتوقف إلا عند الغاء هذا التشريع الممقوت.

اسهام الاستاذ صيداوي استند الى مطلب اساسي، مطلب احالة ما كان يسمى جرائم المطبوعات ومخالفات الصحافة الى القضاء، ليبت القضاء بها على ضوء مواد قانون جديد للمطبوعات يكفل للصحافة كما يكفل للسلطة ما يتمتع به كل

منهما من حقوق وواجبات وفق قوانين المطبوعات بالبلاد العربية الاخرى المتماثل تطورها مع تطور المجتمع السوري.

لم يطالب الاستاذ وديع بعدم تغريم المؤسسة الصحفية ان اقترفت ما يوجب التغريم، ولم يدع الى الغاء التعطيل الصحفي أصلاً، ولكنه نادى بجعل التعطيل قضائياً لا ادارياً ليحكم القانون بدل ان يتحكّم صاحب السلطة على هواه، ولم يدعُ الى تحريم عقوبة السجن على الصحفيين، بعد ان عمدت اكثر الدول الأكثر تقدماً الى الغاء عقوبة الاعدام أصلاً على المجرمين. ومع ذلك بقي الحكم على موقفه المتعنت امداً طويلاً.

.. وأخيراً احتجبت «النصر» بل حجبت في ظروف غير عادية، شأنها في ذلك شأن الصحافة السورية القديمة كلها. وها هو ذا صاحب «النصر» ومؤسسها يحجبه الردى. وحكم الردى مع الاسف لا راد له.

بقي ان اقول ان آل صيداوي واصدقاءهم، وهم كثر، غدوا الآن ينتظرون ظهور «النصر الجديد» على يد رجا الذي اعده والده في حياته ليكون عمادة «النصر» من بعده.

رجا حقق النصر تلو النصر في حياة ابيه ولكن في غير ميدان الصحافة. ومع ذلك، ورغم اني لم الق رجا إلا مرة واحدة منذ سنين، فان رنة صوته على الهاتف يوم عزيته أوحت الى ان أمله ان يحقق يوماً حلم ابيه، حلم بعث «نصر جديد»، يوم ان تتوفر الحريات لتتوفر الصحافة، وإلا بقي ما يقدم للناس على انه صحافة ليس اكثر من ورق سوِّد ولون، ليبهر العين، لا أكثر.

أحمد عسه



وديع صيداوي

علم متقدم من أعلام الصحافة السورية في أوائل القرن العشرين

بقلم

الأستاذ بشير العوف

صاحب جريدة «المنار» بدمشق



الاستاذ بشير العوف

حين يكتب تاريخ الصحافة السورية في الثلث الثاني من القرن العشرين، فسيكون احد اكبر رجالها البارزين، الزميل الكبير المغفور له الاستاذ وديع صيداوي «صاحب جريدة النصر» الذي عرفته العاصمة السورية، وكل العواصم العربية، علماً من اعلامها المتقدمين وعنواناً مرموقاً من عناوين النضال الوطني والجهاد القومي، حيث كانت هذه الفترة من تاريخ سورية العربية، ميداناً نقياً لصناعة الفكر والقلم والصحافة، وحيث كان للكلمة المكتوبة اثرها البليغ ومكانها الرفيع. في مقارعة الظلم والاستعباد. والحثّ على انتزاع حقوق الحرية والسيادة والاستقلال، من ايدي الاعداء الغاصبين والمستعمرين الاشداء، فقامت آنئذٍ ثورات الفكر والقلم، الى جانب ثورات النار والدم، ضد جيوش الاحتلال الاجنبية، حتى تحقق لسورية المجاهدة ما تصبو اليه من حرية واستقلال وسيادة وكرامة، جعلت من هذا البلد العربي المناضل، واسطة العقد، وقدوة الكفاح بين سائر البلاد العربية الشقيقة.

* * *

أجل!.. حين يكتب تاريخ الصحافة السورية لهذه الفترة من التاريخ السوري العربي فسيكون اسم وديع صيداوي اسماً متلألئاً، ضمن الصف الاول من الاسماء المتلألئة، ذلك لانه كرّس ليله ونهاره للعمل الوطني الدائب، من خلال فكره الثاقب وقلمه المتوثب، فلم يتوانَ للحظةٍ واحدة عن القيام بواجبه الصحفي والوطني. غير عابىءٍ بما جرّه عليه هذا الاندفاع الوطني من متاعب الظلم الاستعماري، ونوائب الحقد السياسي، ولكم تعرّض هو وجريدته لظلم الاستعمار الذي لم يستطع ان يقهره ويقهر جريدته بالرغم من تسليط سيوف الحكام المأجورين عليه، وفرض التعطيل الاداريّ أو القضائي عليه وعلى جريدته حيث كان لا ينتهي من محاكمة ظالمة إلا ليستقبل محاكمة ظالمة جديدة، بالاضافة الى تعطيل جريدته عن الصدور بسلاح الادارة يوماً، وبسلاح القضاء اياماً اخرى، إلاّ أن هذا الظلم لم يزده إلا اصراراً على النضال، واستبسالاً في الكفاح حتى كتب الله لسورية ان تنال على يد ابطالها الميامين كل ما تتوق اليه من حريةٍ وسيادة واستقلال.

* * *

ولعلّ بين أهمّ ما تميز به الاستاذ وديع صيداوي هو انه كان واحداً من الرجال الصحفيين السوريين القلائل الذين استطاعوا ان يجمعوا الى الموهبة الصحفية وبراعتها الفنية ثروةً ثقافية واسعة، ففضلاً عن انه كان واحداً بين الذين دخلوا حلبة الصحافة مزوّدين بشهادات علمية جامعية، فانه لم يكتف بحمل شهادة الجامعة الامريكية من بيروت، بل عكف على متابعة الدراسة والتتبع والاستقصاء الذاتي، حتى أصبحت جريدته مرجعاً موثوقاً، وثبتاً مصدوقاً، لادقّ وأهم الحوادث والوقائع السياسيّة والعلمية والاجتماعية، لا على صعيد الوطن السوري الصغير فحسب، بل على صعيد الوطن العربي الكبير، فضلاً عن اهتمام جريدته الملحوظ بمختلف شؤون العالم وقضاياه الكبيرة والصغيرة.

* * *

لم يكن الاستاذ وديع بالنسبة لشخصي، مجرّد زميل في مهنة، أو رفيق في صناعة، بل كان علاوةً على ذلك، أخاً وفياً وصديقاً اثيلاً، ربطت بيننا وشائج قوية من صلات الالفة والمودة، التي لا يؤثر فيها اختلاف في الرأي السياسي، أو تباين في وسائل الوصول الى الغاية... نعم كنا نختلف في بعض الاحيان على الوسائل، ولكن دون ان نختلف على الغايات، وكنا نتعارض أحياناً في الرأي، ولكن من ضمن احترام كلٍّ منا لرأي الآخر، واحتفاظه بمودته وصادق تقديره.

ولقد سعدت برفقة الاستاذ وديع في عدد كبير من الرحلات الصحفية الى عدد كبير من البلاد العربية والاوربية التي كنا نترافق فيها مع زملاء صحفيين سوريين وعرب واجانب، فكنا نجد مع متاعب المهنة أحلى اوقات المتعة، وكنا نجد مع لذة التتبع والاستقصاء، فرحة الالتقاء بكرام الرفقاء والاصدقاء، إلّا أن أحلى هذه الرحلات وأمتعها، تلك التي كنا نترافق فيها نحن الاثنين فقط، فنعمل معاً في اقتناص طرائد المهنة، ونقضي معاً اوقات الراحة والمتعة، فيكتشف كل منا دخائل حياة اخيه، وهكذا حتى امتدت صلات المهنة والزمالة الى الصلات العائلية والاجتماعية، حتى فرقت بيننا الاحداث الدامية التي وقعت في وطننا الثاني لبنان، فانتقل هو وعائلته من لبنان الى اوربا دون ان تنقطع بيننا صلات المحبة والودّ، حتى وافاه القضاء المحتوم، فقضى بعيداً عن وطنه الأم الذي حفظ له العهد، فأكرمه بمثواه الاخير في عاصمة بلده دمشق. حيث ووري جثمانه في تراب وطنه. مشيعاً بالاسف العميق على ما كان يحمله من خلق ووداعة، بالاضافة الى ما عرفناه فيه من صلابة رأي، وشجاعة قلم، وصدق ارادة.

* * *

في عام ١٩٦٢ انتدبتنا الحكومة السورية لنمثل (نحن الاثنين) الصحافة السورية في العيد الاول لاستقلال الجزائر فذهبنا وأدّينا الامانة خير أداء، وحين عدنا الى دمشق قدمنا تقريرنا السياسي المشترك لدولة الرئيس المرحوم خالد العظم الذي اختصنا يومئذٍ بتقديره الكبير، لانه رآى بنا اتفاقاً في الرأي ووحدة في الاستنتاج، مع انه كان يظن ان اختلاف ميولنا السياسية الداخلية، سيفرض نفسه على تقريرنا المشترك، إلا انه وجد بنا وحدة سليمة في الاهداف الوطنية، وتلاقياً دقيقاً في الغايات القومية. مما حمله على ازجاء التقدير لعلاقتنا الصحفية والوطنية والقومية، وهكذا - للتاريخ - كان شأن الصحافة السورية العربية على معظم الصعد الداخلية والخارجية.

ترافقنا نحن الاثنين (مع زوجتينا) في تلبية دعوة العاهل الاردني الملك حسين لزيارة الاردن ومعالمه التاريخية والاثرية فكانت رحلة عائلية كريمة مضيافة ذات اثر لا ينسى، وترافقنا معاً في تلبية دعوة الرئيس التونسي الجليل الحبيب بورقيبة فقضينا اياماً ممتعة في الرحاب التونسية، سعدنا خلالها بلقاء عدد من اصدقائنا السوريين، بينهم الوزير السوري الدكتور مظهر الشربجي، وفضيلة الاستاذ محمد المنتصر الكتاني الاستاذ بجامعة دمشق، فكانت ايضاً اياماً رائعة لا تنسى.

وترافقنا نحن الاثنين في زيارة اسبانيا وبلاد الاندلس ووقفنا طويلاً امام تراثنا التاريخي العربي الاسلامي في غرناطة وقرطبة واشبيلية وزرنا مدينة طليطلة التي قال فيها امير الشعراء احمد شوقي متغنياً بدمشق عاصمة الامويين:

لولا دمشق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببني العباس بغدانُ

وحين دخلنا قصر الحمراء، وتجولنا في غرفه وابهائه وساحاته وحين شممنا فيه رائحة الشام، ومياه الشام، وياسمين الشام لم نستطع ان نحبس الدمع في عيوننا على ما فرطنا من ارث، وتركنا من تراث حيث زاد من هذه الدموع ما رأيناه من مساجدنا، التي تحولت الى كنائس، ومن ابراجنا التي كانت

مأهولة وغدت مهجورة، فرحنا نردّد مع شوقي:

مررت بالمسجد المحزون اسأله
هل في المصلّى أو المحراب مروانُ
فلا الأذان أذانٌ في منائره
إذا تعالى، ولا الآذان آذانُ

ذهب الرّفاق..!

ذهبَ الذينَ عرفتُهمْ
وبقيتُ وحدي في الطّريقْ
كانوا رفاقَ العُمرِ في
ظلِّ المنى أو حِلِّ ضيقْ
شركاءَ في الخير العميم -
- وعدَّةَ الأمرِ الدقيقْ
خِلاًّ فخلاًّ.. بالأسى
ودّعتُهمْ.. كأخٍ شقيقْ
قسماً بصدقِ العهدِ لنْ
أنسى وداداً من صديقْ

بشير العوف

وترافقنا معاً في زياراتنا للمغرب والسعودية ولبنان وفرنسا وبريطانيا والمانيا وسويسرا وايطاليا وغيرها من البلاد العربية والاجنبية، فلا اذكر اننا اختلفنا يوماً على شيء، ولا اذكر إلا اننا كنا نتبادل في ختام كل رحلة حسن الثناء على متعة الرفقة ونعمة الصحبة، وهذا ان دلّ على شيء فإنما يدل على عمق الروابط الخلقية والاجتماعية والانسانية لدى جميع السوريين.

* * *

اختلفنا يوماً على قضية سياسية، فكتب ضدي في جريدته، وكتبت ضده في جريدتي، ولعل الكثيرين من الزملاء، والقليلين من الناس، كانوا يعلمون اننا لم ننقطع يوماً واحداً عن ملاقاة بعضنا كأصدقاء خلصاء، وكثيراً ما كان عمال المطابع ينضدون مقالاتنا ضد بعضنا بعضاً، بينما اكون انا في مكتبه اتناول عشوة صغيرة «فتة مقادم مثلاً» ويكون هو في مكتبي نتناول ما تيسر من طعام وشراب نختلس وقتهما من زحمة العمل خلال متاعب السهر.

* * *

وديع صيداوي (ابو رجا) أخ وفيّ، وصديق اثيل، اكثر من كونه زميلاً عزيزاً وصحفياً غالياً، واذا كنت - اليوم - ابكيه وأرثيه، فانني اعترف بشدة الحزن لوفاته ومرارة الالم على فراقه. ولكنّ عزائي في انه ترك للوطن السوري والعربي، ذخيرة صحفية وتاريخية مهمة، سيجدها المؤرخون المنصفون في مجموعات جريدة «النصر» الغراء، ليأخذوا من بين صفحاتها وسطورها تاريخ فترة من ادق فترات التاريخ السوري والعربي في الثلث الثاني من القرن العشرين.

* * *

وأما كلمتي الاخيرة، فهي كلمة عزاء صادقة لوطننا العربي السوري، الذي لم يبخل يوماً بتقديم النخبة تلو النخبة من ابنائه البررة على مذبح حريته وكرامته وسيادته واستقلاله، حيث كان فقيدنا الغالي وديع الصيداوي واحداً من هؤلاء الابناء البررة الذين ستظل اسماؤهم وآثارهم محفوظة في سجل الوطنيين المخلصين والمناضلين الصادقين.

فالى قرينته السيدة «ام رجا» والى نجليه العزيزين «رجاء وسامي» والى ابنته الاثيلة وديعة اصدق عبارات التعزية مشفوعة بصادق الود، مع الدعاء الى الله بأن يتغمد الفقيد بجميل عفوه وواسع غفرانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بشير العوف

صاحب جريدة «المنار» بدمشق

الصيداوي صفحة مشرقة من تاريخ حافل بالآمال والبطولات

بقلم

المحامي د. مظهر الشربجي



المحامي الدكتور مظهر الشربجي

عندما علمت بالنبأ الاليم لرحيل الصديق الاستاذ وديع الصيداوي، انتابني حزن عميق، لاسيما وان فترة طويلة كانت قد مرت دون ان نلتقي فيها، وبقدر ما شعرت به من الحزن والاسى بقدر ما اثار الخبر في نفسي من ذكريات وشجون لايام انقضت وحنين الى ماض ليس بالبعيد، يجسد الفقيد صورة افكاره ورجاله ومنطلقاته،

في هذه اللحظات وانا اكتب في الفقيد واليه، يغمرني فيض من المشاعر، لو علمت بمشروع هذا العدد من «الثقافة» مسبقاً وفي وقت مناسب ولو سمحت لي المساحة المخصصة لي فيه، لاستغرق التعبير عنها صفحات طويلة لا تفيه حقه وحق زمانه، ولما اكتفيت بهذه السطور،

ان اكتب في الفقيد هو في ان اذكر مناقبه وهي عديدة واكشف ما اعرفه من صفاته الشخصية من نبل واخلاص ووفاء لاصدقائه ومحبيه وما كان عليه رحمه الله من ثقافة عالية وسعة في التفكير وقدرة على استيعاب الحدث،

كان اسماً على مسمى، وديعاً رقيقاً هادىء الطبع، صديقاً وذوداً للكثير من اهل السياسة والقلم على مختلف اتجاهاتهم يعشق الحرية ويحترم الكلمة، كما كان مدرسة لجيل من الصحافيين الشباب، وواحداً من الذين ساهموا بجد لاعطاء الحياة السياسية والديمقراطية معناها الصحيح،

أما ان اكتب له، وهذا باعتقادي ما كان يفضله، هو ان نذكر في ذكراه اعماله التي هي سمة جيله في السعي الى تحرير الفكر والعمل السياسي من الانتهازية والارتجال والغموض والسير بهذا البلد على اسس من الوعي والتخطيط العلمي السليم،

كان المرحوم واحداً من ابرز اعلام الصحافة حاملي القلم وحامي الكلمة، صاحب جريدة لعبت مع مثيلاتها دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية وساهمت في ترسيخ وتعميق الديمقراطية، وكانت تعبيراً عن اتجاه الاغلبية من شعبنا العربي في سورية وهم اصحاب الوسط بين التيارات الفكرية والسياسية والذين كانوا يشكلون نقطة التوازن بين اصحاب اليسار واصحاب اليمين، والذين كانوا بناة الديمقراطية وحماتها ومنطلقاتها،

كان المرحوم من الذين يؤمنون باصالة شعبنا ووعيه وصدق

احاسيسه، ويدعون الى اصلاح اسلوب الحكم لايجاد المناخ الملائم لاستخلاص طاقات هذا الشعب في جو من الحرية، لاسيما حرية الكلمة والتي يمكن، عن طريقها فقط، ان يحيا الناس حياتهم وافكارهم ويساهموا جميعاً في العمل الوطني الخلاق،

كانت الكلمة مقدسة، والطريق الوحيدة للتعبير عن مختلف الاتجاهات والافكار، وفي ظلها تجمع الناس على اختلاف اتجاهاتهم وافكارهم، وكان الصراع الفكري بين مختلف الفئات كنقاش بين اخوة واصدقاء تشعر وكأنهم اسرة واحدة تسعى الى هدف واحد،

ولعل صداقتي مع المرحوم هي اقرب مثال على الوحدة الوطنية العفوية غير المتكلفة ولا المصطنعة، ومن حسن الصدف عثوري بين اوراقي على صورة تجمع بينه وبين الاستاذ الكريم الاخ بشير العوف وبيني تعود الى عام ١٩٦٢ يوم كنا نشترك معاً في احتفالات الجزائر المجاهدة في اول عيد استقلال لها، وقد دعينا مع عدد كبير من اهل السياسة والقلم وبعد الانتهاء من الاحتفالات قمنا بجولة في المغرب العربي واسانا حيث التقطنا هذه الصورة،

ثلاثة معاً تربطنا اواصر متينة من المحبة والصداقة والاحترم المتبادل،

ثلاثة كل واحد منا له اتجاه وفكر يختلف عن اتجاه وفكر الآخر..

لم يكن لاختلاف الرأي بيننا اثر على المحبة والمودة، بل في كثير من الاحيان كان النقاش الحر الموضوعي السليم يزكي هذه المحبة والصداقة،

كان كل واحد منا عند اختلافه مع الآخر يشعر بالانتماء الى قضية مشتركة واحدة، واننا جميعاً ساعون كل في طريقه ولكن الى غاية واحدة،

هذا بعض ما يتوجب علي ذكره وانا اكتب اليك، يا صديقي، ومما كنا نحاوله، وكانت جريدتك واحدة من اهم وسائل التعبير عن هذه الآماني والمنطلقات،

صفحة من تاريخ حافل بالذكريات والبطولات...

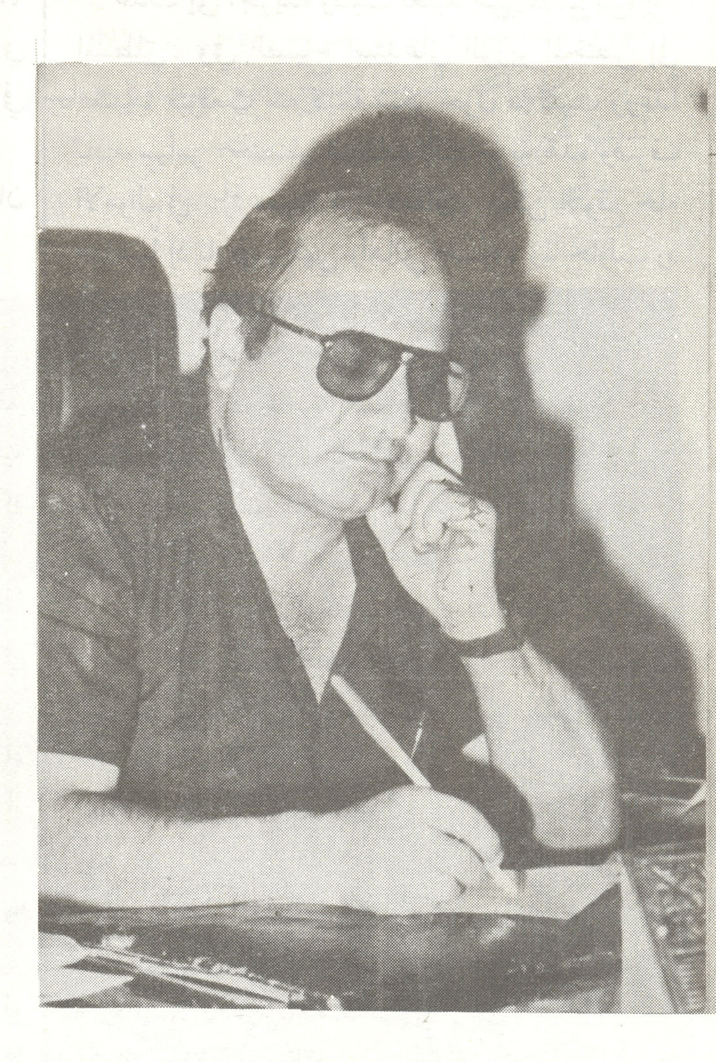
رحمك الله، ان رحلت، فانت باق حياً بيننا ما بقيت الذكريات.. وكلما افتقدنا الكلمة الامينة الصادقة الطيبة.

د. مظهر شربجي



وديع صيداوي .. المعلِّم

بقلم الأستاذ: جان ألكسان



الاستاذ جان الكسـ ن

صدمتني الصحافة في سن مبكرة.. في بدايات احترافي هذه التي كانوا يسمونها «مهنة البحث عن المتاعب» والتي تعلمت من الاستاذ وديع صيداوي، فقيدنا الغالي الراحل انها «مهنة البحث عن الحقائق»..

عملت في مجلة «الجندي» في اثناء تأدية خدمة العلم، وسُرِّحت من الجندية في خريف العام ١٩٥٧ لأعمل في جريدة «المختار»، ولأفاجأ بعد عام واحد، كما فوجىء كثيرون من الصحفيين، بقرار اغلاق جميع الصحف السورية - مع قيام وحدة القطرين بين سورية ومصر - باستثناء ست صحف يومية في دمشق، احداها صحيفة «النصر» لصاحبها الاستاذ وديع صيداوي الذي لم اكن اعرفه الا بالاسم..

وجدت نفسي فجأة بلا عمل وفي جيبي اربعون ليرة سورية فقط.. وعلم بأمري الزميل العزيز عبد الله الشتي الذي كان يعمل في صحيفة «الايام»، فحدث عني الاستاذ وديع صيداوي الذي قال له:

-.. ادعه ليداوم في «النصر» اعتباراً من يوم غد..

وهكذا بدأت عملي في جريدة النصر التي كانت مدرستي الحقيقية في الصحافة.. وكان عميدها المرحوم الاستاذ وديع الصيداوي المعلم الذي تعلمت منه شرف المهنة قبل اسرارها لم يكن تميز هذا المعلم الكبير متأتياً من انه من اوائل خريجي كلية الحقوق في جام دمشق، ولا من تجربة عمله الغنية في صحيفة «الفـ باء» مع شيخ الصحفيين المرحوم يوسف العيسى، ور من ثقافته العالية، ولا من اللغات التي يجيدها، بل من صدقه مع نفسه ومع قارئه، ومن اخلاصه لعمله، ومن اخلاقه النبيلة التي كان يتعامل بها مع الناس ومع القراء، ومع العاملين معه في الصحيفة..

اذكر مثلاً ان رواتب المحررين في اكثر الصحف - وهناك استثناءات طبعاً - كانت تدفع لهم بالتقسيط اغلب شهور السنة، ولكن المرحوم وديعت صيداوي

كان يصر - حتى إذا كان في ضائقـة مادية - على ان يتسلم العاملون في «النصر» رواتبهم في الساعة التاسعة من صباح الاول من كل شهر، وبصورة لائقة، إذ كان يوجـه المسؤول الاداري والمـالي في الجريدة، المرحوم نقولا الدير «ابو سليم» ليضع راتب كل محرر في مغلف خاص، ويسلمـه باليد. . وقد ثار في وجهه مرة لأنه سلمنا الرواتب دون ان يضعها في مغلفات. .

انا لا اكتب هذا المقال من منطلق: «اذكروا محاسن موتـاكم» فالذين يعرفـون الاستاذ وديع صيداوي يدركـون ان الـرجـل ليس بحاجة لشهادة من احد، ولكنـه العرفان الذي احس به تجاه معلمي الكبير في مهنة الصحافة حيث تعلمت منه اموراً كثيرة كان لها في المستقبل اثر كبير على تجربتي الصحفية المتواضعة.

● علمنا وديع صيداوي ان نقول الحقيقة دون ان نخاف في هذا سطوة حاكم أو لومة لائم. .

● علمنا ان نحترم عملنا وان نحبه. .

● علمنا ان نحترم مواعيد العمل. .

● علمنـا الـدقة في العمل «راجع المقال أو الخبر الذي تكتبه مرة ومرتين واكثر. وستجد في كل مرة فيه ما يجب ان تدخل عليه بعض التعديل أو التصحيح. .». .

● علمنـا ان يتـابع الصحفي مقاله منذ اللحظة الذي يكتبه فيها، وحتى آخر مرحلة من تنفيذه في المطبعة. .

● علمنـا ان الاخـطاء المـطبعية، مثـل الاخطاء اللغوية، تسيء إلى المقال أو الموضوع أو الريبورتاج أو الدراسة، أو حتى شرح الصورة، ولا بد من المتابعة الدقيقة حتى تنعدم هذه الاخطاء أو تكون في نسبتها الدنيا. .

● كان يدافـع عن محرريه تجاه الـغـير حتى لو اخـطأوا. . كان يحاسبهم - بينـه وبينهم - ولكن لا يسمح لأحد ان يهينهم. . واذكر في هذا المجال حادثة: دعيت مرة «كـان ذلك في نيسان ١٩٦١، لتمثيل الجريدة في حفل تقوية التيار الكهربائي - وليس انارة - قرية الكسوة قرب دمشق. .

استأجرت الوزارة المختصة اكثر من مائة سيارة لنقل الضيوف والصحفيين والموظفين واقيم احتفال كبير في القرية القيت فيه خطابات رنانة، ثم دعي الضيوف إلى مائـدة طعـام صفت عليهـا الخراف المكتفة وصواني الحلوى والفـواكـه. . وقـد حاولت ان اجمع تكاليف الحفل بصورة تقريبية فوجدت انها تكفي لانارة بلدة ثانية. .

عدت إلى الجريدة وكتبت تعليقاً عن الحفل من هذا المنـطلق، وفي الصباح استدعاني الوزير المختص إلى مكتبه، فتوقعت منه كلمة شكر حول ما كتبت ووعداً بأنـه سيأمر باختصار النفقات التفاخرية هذه وصرف الاموال في بنود مفيدة من الانفاق، ولكن التوقع جاء معاكساً إذ ثار في وجهي وأهانني بقسوة، ولما حاولت رد الاهانة استدعى من يعتقلني ويرسلني إلى الشعبة السياسية. .

علم المرحـوم وديع صيداوي بالأمـر، فترك جميع اعماله، وبدأ اتصالاته بالجهات العليا حتى تم الافراج عني. . ولم يكتف بذلك بل حمل في الجريدة على الوزير المذكور، وكشف جملة من اخطاء وزارته. . واذكر ان من جملة ما كتبنـا حول االموضوع ان عملية التدشين وصرف تلك المبالغ الطائلة على النفقات من اجل ان يمد الوزير يده إلى الزر ليضاء عشرين مصباحاً. . ان هذه الـعـمـلية تمت في الـيوم نفسـه التي اطلق فيه السـوفييت رائـد الفضـاء الأول يوري غاغـارين إلى الفضـاء. . واجرينا مقارنة بين هذا الانجاز التاريخي، وبـين «احتفـال» الوزارة المذكورة بـ «انجازها الكبير» وهـو تقوية التيار الكهربائي في قرية قريبة من دمشق منارة اصلاً بالكهرباء منذ سنين. .

● وحققنا في «النصر» وبرعاية مباشرة من الراحل الكـريم تجربة متقدسة في الصحافة وهي استحداث صفحة يومية باسم «حديث البلد» كنت اعدها واوقعها

باسم «ابن البلد» وننشر فيها مجموعة من القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية الجريئة والساخنة والتي كانت تحدث ضجة يومية كل صباح . .

وبالرغم من انني كنت اسعى سعياً حثيثاً لتجميع مادة هذه الصفحة، ولم يكن هذا بالامر السهل . وعلى الرغم من ان كثيرين كانوا يعتبرون الصفحة تجربة متقدمة في مجال الصحافة اليومية ويخصونني وحدي بالثناء، الا انني اقول ـ لوجه الحقيقة ـ ان كثيراً من بنود ومواد تلك الصفحة، كنت اتلقاها من المرحوم الاستاذ وديع . . كان يكتبها ملخصة على قصاصات صغيرة من الورق ويسلمني اياها كل صباح وهو يبتسم قائلاً :

-. على آخر الزمن اصبح وديع صيداوي يعمل لديك مخبراً . . .

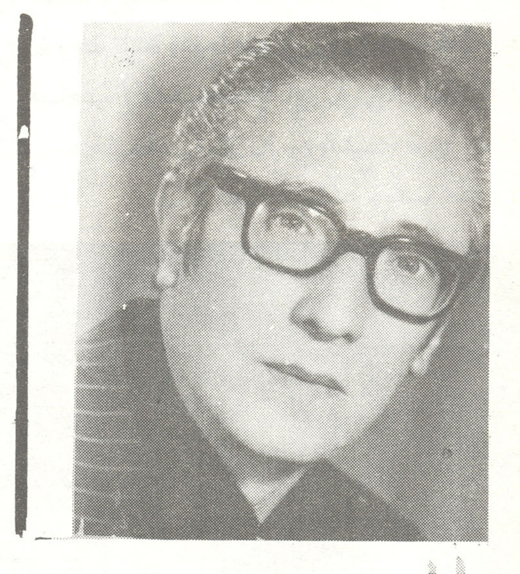
ـ شيء آخر . .

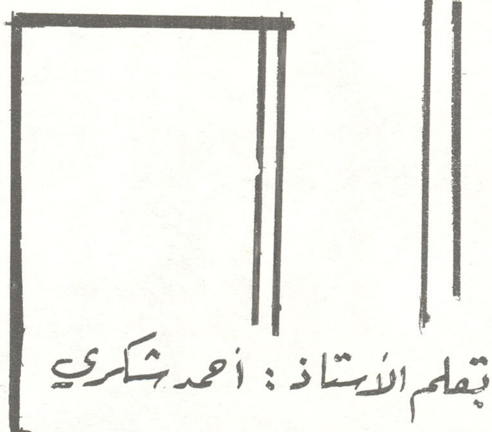
كان فقيدنا الكبير يشجعني على افساح المجال والفرص امام اصحاب المواهب الواعدة من الادباء الشباب . . وعندما اقترحت عليه تخصيص صفحة ادبية لنشر الابداعات الجديدة الواعدة وافق على الفور، ولم تكن الصحف اليومية انذاك تهتم بمثل هذه الصفحات . . واذكر ان كثيرين من الادباء الذين أصبحو فرساناً في ساح الادب، كانوا يجدون فرص النشر المناسبة في تلك الصفحة من النصر . . وقد جمعت مؤخراً ما نشرته الادبية غادة السمان في النصر انذاك ـ واذكر هذا على سبيل المثال لا الحصر ـ فإذا به يملأ مجلداً . .

رحم الله وديع صيداوي، فقد كان رجلاً نبيلاً وصحفياً لامعاً، ومعلماً بارزاً في مجال الكلمة المسؤولة



وديع صيداوي
الصحفي والإنسان


الاستاذ احمد شكري


بقلم الأستاذ : أحمد شكري

ترسخ في الذاكرة دائماً صور الرجال الذين مدوا إلينا يد العون في بداية الطريق. وفتحوا امامنا آفاق الممارسة العملية لمواجهة الحياة قبل ان يتصلب عودنا، وقبل ان تنضجنا نار التجربة.

في البداية يبدأ الانسان متردداً كيف يزج نفسه في عرض التيار وهو لا يعرف السباحة، وعندما يتاح له ساعد قوي يقذف به إلى عباب اليم فسيعرف انها فرصة كبرى للتعلم الاجباري من خلال التجربة والخطأ، يدين بها لذلك الانسان الذي اسدى اليه جميلاً رائعاً حينما ساعده على حسم الامر وعدم اضاعة الوقت.

مثل هذا الجميل لا يمكن ان يمحوه مر الزمن من الذاكرة، ويبقى ماثلاً حتى النهاية وربما ينسى الانسان مئات الناس الذين عايشهم بعض الوقت، أو مر بهم أو عمل معهم حيناً، ولكنه لا ينسى ابداً اولئك الذين حملوه المسؤولية ووثقوا به منذ البداية، وقالوا له امامك العمل فمارسه بموهبتك الخاصة ولا تتردد، فكل يوم من العمل هو درس جديد وكل صدمة أو خطأ حافز قوي لاستيعاب الدرس وتفهم الامور بشكل افضل.

هذه كانت بداية الطريق مع فقيد الصحافة وديع صيداوي صاحب صحيفة النصر في الجانب الاول من الاربعينات، وانني لأراه اليوم بكل وضوح تحت انوار العمل الليلي في مصب الاخبار، وجهه ينبض بالاهتمام والمتابعة، وعيناه الزرقاوان تفيضان بالذكاء والتفكير العميق، يبعث فيمن حوله روح الاهتمام والمتابعة، ويدفعهم للتعايش مع الحدث الراهن، ويقدم تفسيره لمجريات الامور ثم يطرح توقعاته التي كانت دائماً تتحقق.

ورغم حداثة سني آنذاك كان الاستاذ وديع يدفعني إلى ممارسة كل انواع العمل الصحفي دون تهيب ورأيته منذ البداية يريد مني ومن زملائي تحمل المسؤولية والتحلي بالاقدام والتقصي والدخول الجريء في عالم الاحداث الكبير بيقظة ذهنية وعقل مفتوح، ولا يكتفي بالارشاد والتوجيه بل بتقدمنا إلى هذا العالم الهائل الذي

كان رب العمل والمعلم والمحرر معاً. يعمل اكثر منا، ويسهر اكثر منا جميعاً. ويمارس فنون العمل الصحفي كلها ابتداء من كتابة الخبر ومروراً بالتعليق السياسي وانتهاء بالمتابعة الهاتفية والميدانية، اضافة إلى استقصاء سير العمل في المطبعة، والالمام بكل كبيرة وصغيرة تتعلق بشؤون الصحيفة.

وفي الوقت نفسه كان يشجع كل محرر وكاتب - ولو كان ناشئاً - على ان يتناول فرصته فوراً دون توقف، ولو كان قليل التجربة، بل وحتى لو بدأ من الصفر، لم يكن راغباً في احتكار المهنة أو ان يراها تقتصر على فئة محدودة، أو ان يغلق الابواب في وجوه القادمين الجدد. بل كان منفتحاً على الشباب يشجعهم ويزجهم في غمار التجربة على اساس التدريب من خلال العمل نفسه. ومن هنا كانت صحيفة النصر منشأة صحفية للتدريب والتخرج اعطت الكثيرين فرص الممارسة والظهور دون شروط أو قيود.

والذين مروا من هذه القناة المهنية الاعلامية اصابوا الشهرة الصحفية خلال هذه الفترة وفيما بعد، واصبحوا لامعين - ولو تفرقت اقدارهم - ولا تزال اسماؤهم تتردد في الصحافة المحلية والعربية بشكل جيد. الامر الذي يبرهن على المردود المهني الجيد لمرحلة العمل في (النصر).

تجاوز (وديع صيداوي) صحافة الانشاء والانفعال إلى صحافة الموضوع والتحليل السياسي وتقصي الحقيقة في البحث عن الخبر، وكان عقله مهنياً حيثما وجد، من المنزل إلى المكتب إلى النادي وفي كل مجتمع رسمي أو شعبي، يبقى انتباهه مع الحدث، يسبر غوره ويقيس اهميته ويسعى للاحاطة بظروفه وخلفياته، ومتى اقتنع بالخبر نقله إلى صحيفته في أي وقت.

ولقد مكنته ثقافته الجيدة وتضلعه باللغتين الانكليزية والفرنسية واهتمامه بالمطالعة من الاطلاع العميق على التيارات العالمية بمختلف جوانبها وعرف بواطن الامور واتجاهات الرياح في اشد الظروف حرصاً واضطراباً، واتسمت مواضيعه السياسية بطابع الاحاطة بالعوامل الكامنة وراء الاحداث، ونفاذ الرؤية إلى المستقبل.

انه نموذج لجيل مثقف من الصحفيين برز في الثلاثينات وعايش الاحداث بعقله واعصابه وقلمه حتى الستينات حيث انتقلت المنطقة إلى اوضاع مختلفة حافلة بالمستجدات، وبدأ الاعلام طريقاً آخر يتفق مع الظروف الجديدة.

ولا ريب ان صحافة العقود الثلاثة كانت سجلاً لا ينقصه الوضوح والتفصيل لاحداث المنطقة والعالم، مع ملاحظة ان كل صحيفة من الصحف المحلية التي كانت تصدر في هذه المرحلة كانت تتناول الحدث من زاوية مختلفة، الامر الذي يزيد من ثراء الموضوع الصحفي وتنوع صوره الناشئة عن رؤى عديدة ومنطلقات عديدة.

وكل من يعود إلى مجموعات الصحف - ومنها النصر - سيلاحظ هذه الظاهرة المفيدة لعلم التاريخ السياسي، فلا شك ان المرحلة المعنية كانت زاخرة بالتحولات النوعية ولم تخل من الصراعات الاجتماعية الحادة التي طبقت الحياة بروح التوتر والتطلع إلى الغد الغامض، ومحاولات الخروج من قواقع التخلف والضعف امام عالم مضطرب تتصارع فيه قوى عظمى - اكثر من أي وقت مضى - على مناطق النفوذ - وعلى مصادر النفط والممرات الاستراتيجية في العالم، وفي مقدمتها منطقة الشرق الاوسط التي تتوضع سورية في قلبها وتشكل الجزء الاهم منها على شرق البحر الابيض المتوسط.

وعلى هذا الصعيد تعود بنا الصورة إلى القاعدة الصهيونية التي فرضتها الامبريالية العالمية على المنطقة كحاجز بين المشرق والمغرب العربيين، ولدق إسفين عسكري استيطاني في موقع مفصلي من الوطن العربي يفرض عليه التجزئة وتمزق شبكة الاتصال البري بين اقطاره، وقد لعبت القاعدة الصهيونية هذا الدور

بفاعلية ضخمة مستندة إلى الدعم المستمر المتصاعد من الادارات الامريكية المتعاقبة. ودأبت هذه القاعدة التي حملت اسم (اسرائيل) على نهج العدوان والتوسع لاستنزاف المنطقة العربية واعاقة تنميتها.

ولا شك ان صحيفة النصر وزميلاتها المعاصرات في عقود الاربعينات والخمسينات والستينات استوعبت ابعاد النكبة الفلسطينية وترجمت المشاعر الشعبية الصاعدة في مواجهة احداثها وانتكاساتها، واختلطت بالدور الاعلامي الملتزم في توضيح مخاطر قيام القاعدة الاسرائيلية وابعاد مطامعها ومخططاتها التي برهنت الوقائع على ضرورة مواجهتها على اساس التعارض المطلق بين الوجود العربي والوجود الاسرائيلي كما واكبت الصحافة المد الجماهيري الوحدوي الذي وصل إلى ذروته في النصف الثاني من عقد الخمسينات واسفر عن تحقيق اول وحدة في التاريخ العربي الحديث، وقيام الجمهورية العربية المتحدة التي جمعت بين القطرين المصري والسوري تحت راية واحدة وقيادة واحدة ورئيس واحد.

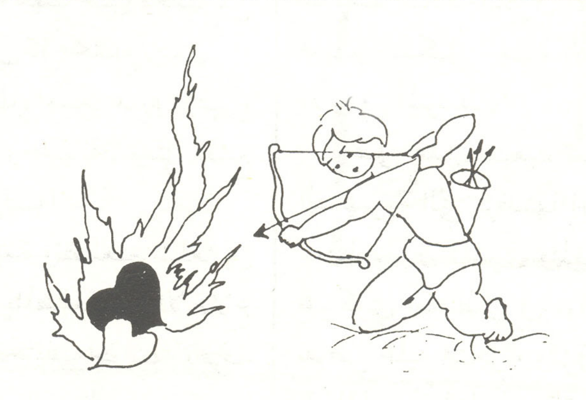
ولا يتسع المجال لاستعراض الاحداث الكبرى التي واكبتها تلك الصحافة فهي احداث مازالت حية في ذاكرة الجماهير. ومازالت صورها تتوالى على الاذهان كشريط مدوٍ، وما يعنينا في هذه العجالة ان نوضح - كشهود - مدى مواكبة الصحافة لتلك الاحداث في منحى طليق ومن زوايا متعددة.

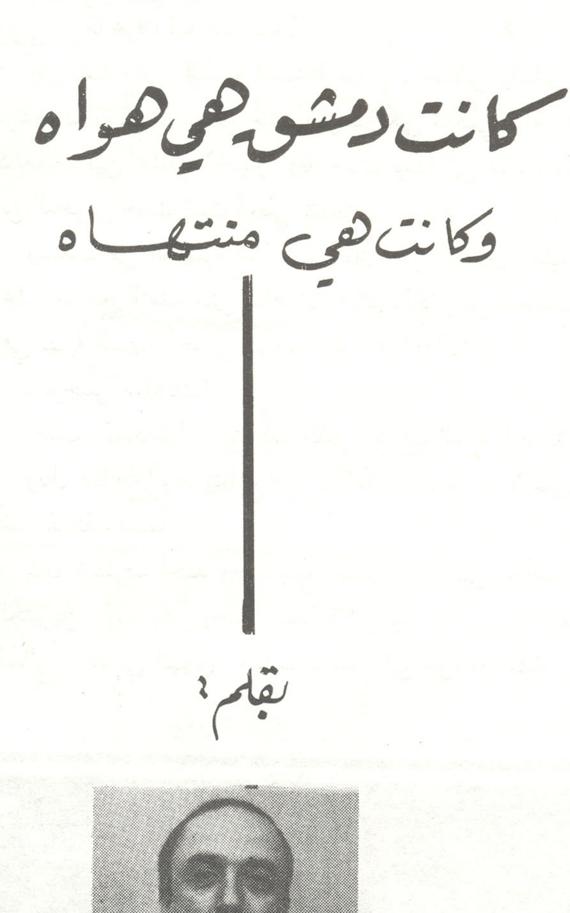
في هذا المخاض كان نهج الراحل الاستاذ وديع صيداوي التزام الحقيقة والانطلاق من الخبر نفسه بوصفه الواقعة التي يجب ان يبنى عليها كل تحليل أو رأي أو موقف، بعيداً عن الانفعال والصراخ أو الانشاء القائم على رصف الكلمات، ومازلت اذكر هدوءه التام وثقته بالقوة العربية والامكانات العربية وذلك في اشد الساعات حلكة، وحينما كانت الاحداث مرعبة إلى حد يبعث على الخوف.

وبانتقال (ابي رجا) إلى عالم الابدية بات من حقه القاء ضوء نزيه على عمله كصحفي بارز ومشارك في تغذية الرأي العام، ومن حقه وضع شخصه كرجل عمل وسياسي ورب اسرة تحت نور الحقيقة التي كان ينشدها ويتسمك بها.

وبالنسبة إلى كاتب هذه السطور كان صديقاً اكثر منه رب عمل، وكان مرشداً ناضجاً سديد الرأي بعيد النظر، وكان رجلاً يتمتع بوضوح الرؤية واستقرار الشخصية والثقة بالنفس، وانني لأذكر وجهه الناصع وعينيه الزرقاوين الصافيتين وحديثه المشوق وكأنه لا يزال يعيش بيننا بكل وجوده المادي والنفسي لم تنل منه المصاعب والمنعطفات الحرجة، ولم يتزعزع ايمانه بامته العربية التي كان مسارها الصعب ومعاناتها التاريخية والعقبات القائمة في طريقها من اكبر همومه.

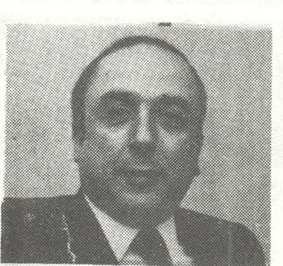
احمد شكري





كانت دمشق هي هواه
وكانت هي منتهاه

بقلم:



الاستاذ سمير عطا الله

الأستاذ سمير عطا الله

ثمة طرفة يتناقلها الايرلنديون من جيل إلى آخر، خلاصتها أن ايرلندياً قال لآخر: «إنني أعرف رجلاً يستطيع أن يقفز عشرين متراً إلى الوراء».

وقال الرجل الآخر: «هل فقدت عقلك؟ من هو الرجل الذي يستطيع أن يقفز عشرين متراً إلى الوراء!».

فردَّ صاحبنا: «إنه شقيقك فيكتور».

وعندها رفع الايرلندي كتفيه في الهواء علامة الاستسلام قائلاً: «آه. أخي فيكتور. لم أكن أعرف أنه حقق هذه المسافة!».

لأن وديع الصيداوي يقبل النقاش في أي شيء. في الشعر. في الفلسفة. في السياسة. في الصحافة. في الحُسن. لكن ثمة شيئاً واحداً لم يكن يقبل أي جدل، أي تساؤل، أي نقاش أو حتى علامة تعجب: دمشق.

هذا الرجل العالم، العريق، المجرب، الذي ذهب شاباً إلى أقاصي الأرض، كان سرعان ما يتحول إلى «ايرلندي» بسيط عاشق، إذا ما أتى ذكر مدينته، شام. وغالباً ما كان يقوم إلى القواميس والمعاجم ليثبت لك كيف أن دمشق أعطت اسمها إلى كل فن وحرير وتاريخ. إنها «الدمشقة» فعل وفاعل وصفة الموصوف.

كل شيء آخر كان عبثاً أو ميتافيزيقياً. وكل جدل آخر كان يحسمه بنفضة من يده. أما دمشق، آه دمشق، كانت حقيقته الوحيدة في السياسة وفي التاريخ وفي حياة كل يوم.

وكانت هي، بالنسبة إليه، المقياس: يحب من أحبها، يعادي من يعاديها. هكذا في أول العمر، هكذا والعمر انقضاء.

قبل عامين كنت في صدد وضع كتاب «جنرالات الشرق» وكنت ألجأ دائماً إلى الأستاذ الكبير، أطلب رأيه في رجل حقبة عايشها وعرفها عن كثب. وكان يقيِّم المندوبين الساميين والعسكريين الذين عرفتهم سوريا ولبنان، دائماً، دائماً، حسب سلوكهم في دمشق: «فلان كان آدمي» (تلفظ باللهجة الشامية) و«فلان كان ابن..» (وتلفظ أيضاً باللهجة الشامية).

وكانت دمشق مقياس الأطايب والطعام وليست فقط مقياس التاريخ ومعارك الاستقلال. فإذا ذهبنا برفقته إلى مطعم عربية كان لا بدّ أن نفهم أن هذه مأكولات نبعها الشام وإذا ذهبنا إلى مطعم افرنجي كان يجب أن نفهم أن الايطاليين، أخذوا من

المطبخ الدمشقي فكرة استخدام «الحبق» في الطعام، إنها مدينة العطور.

لم يكن رومانسياً.

أقصد أنه لم يكن رومانسياً إلا في ما تعلّق بدمشق، عندما، كان يتحول هذا الرجل البراغماتي السياسي، إلى طفل، أو إلى صبي في اليوم الأول داخل عتبة العشق.

في كل شيء آخر كانت للأستاذ وديع الصيداوي نظرة جدلية علمية ورؤية ثاقبة نحو المستقبل. وكان يقول لي أن أمريكا هي مجموعة عائلات اثنية يربط بينها المال فإذا انتهى سقط الرابط. وكان يقول أن البرازيل هي قارة المستقبل. وكان يقول أن أعظم فائدة من وجود الاتحاد السوفييتي هي أنه حقق التوازن وقسم العالم بين عملاقين بدلاً من أن يظل رهينة عملاق واحد. وكان يقول أن الصين عملاق سوف يظل ضحية نفسه.. إذ كيف تطعم ملياراً من البشر.

وقد زار الأستاذ الصيداوي كل هذه البلدان: موسكو وبكين وأمريكا في الخمسينات، والبرازيل في السبعينات غير مرة، وجال في أمريكا اللاتينية وفي أوروبا، ناهيك طبعاً بالعالم العربي الذي خبره وخبر خفاياه وأحبه جزءاً من أمته ومن تراثه، ولو أن كانت له أحلام أخرى لأمته، في التقدم وفي العلم.

عرفت وديع الصيداوي عن قرب،

وهنا في لندن كان من أبلغ الأشياء أن نكون على مقربة من هذا الرائد الصحافي الكبير، كما كان من أحب الأشياء أن نكون على مقربة منه ومن «أم رجا» معاً، بحيث لمحنا من خلالهما صورة الشام التي لم يقدر لنا أن نعرفها.

ولست أدري أي شخصيات عرف الآخرون في وديع الصيداوي، لكن نحن، الذين انتسبنا إليه بالتبني وبالوفاء، قدّر لنا أن نعرف فيه الكثير من النبل والكثير من الفروسية والكثير من الظرف.

وأكثر ما عرفنا فيه صراحته،

وفي عيد رأس السنة المالية ذهبنا، عائلتي وأنا، إلى مرتفعات «سان بول» في جنوب فرنسا لكي نمضي ليلة العيد كالعادة، بين أهلنا بالاختيار. وقد جئت يومها إلى هناك مباشرة من البحرين حيث كنت أغطي القمة الخليجية.

وسُئلت في السهرة عن انطباعاتي عن البحرين فهمت اعدد ملامح التقدم التي شاهدتها هناك بالكثير من الحماس. وفي نهاية السهرة أخذني، رحمه الله جانباً وقال:

- فرجيني ساعتك!

وقلت، لماذا، لقد انتصف الليل وبدأت السنة الجديدة.

وقال ضاحكاً وهو يتطلع في الساعة القديمة: «لا شيء، لقد اتهمتك ظلماً!».

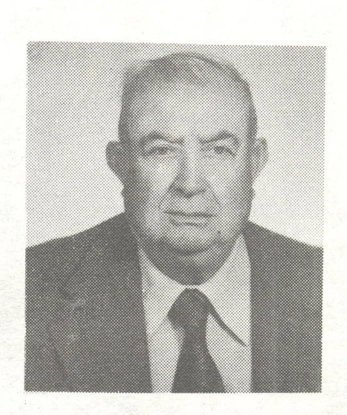
كان الظرف أحد وجوه وديع الصيداوي التي خبأها عن الكثيرين. ولم يكن رجلاً متعدد الوجوه. كان رجلاً متعدد المآثر ووحداني الهوى. وكانت دمشق هي هواه ومنشهاه..



صديقي الراحل

وديع صيداوي

الاستاذ احمد الجندي



بقلم الأستاذ
أحمد الجندي

كان استاذاً في الصحافة كما كان بارزاً في الحديث واللياقة، يعمل من فكره كما يعمل من قلمه وربما سبق الفكر القلم، فكان من نتاجه حكمة وعلم ورأي في السياسة قاصٌ لا يأتيه الباطل ولا يقربه الخطأ.

عرفته منذ عرفت دمشق، فقد كان للصحافة مجلس استجمام في مقهى، كان يقع إلى جوار دار البلدية القديمة وأمام دار الحكومة التي اصبحت اليوم: وزارة الداخلية، كان المجلس يرئسه رئيس السن والقلم المرحوم يوسف العيسي صاحب جريدة الف باء الشهيرة بمقالاتها الافتتاحية وبالزاوية التي كانت تحفة الصحافة السورية، وهي زاوية الاستاذ العيسي: مباءة نحل، هذه الزاوية التي كانت تختصر الموقف السياسي بين الشعب السوري والحكومة المعينة في تلك الايام والجانب الفرنسي المستعمر. كان من أعضاء هذه الجلسة البارزين معروف الارناءوط صاحب «فتى العرب» والكاتب القصصي الشهير مؤلف «رشيد قريش» ونجيب الريس الصحفي الوطني صاحب القبس، وتوفيق جان صاحب «الشعب»، وكان بين هؤلاء ماضياً المرحوم وديع الصيداوي صاحب جريدة «النصر» الشهيرة. والمرحوم نصوح بابيل صاحب الايام وكان هذان من شباب الصحافة يومئذٍ. لم اختلط به كثيراً فقد كانت السنّ فارقاً بيني وبينه ولكني كنت معجباً باشياء منه كانت تبدو لي من بعيد كبيرة من اجلها، كان رزين الحديث فاذا تحدث جلجل بصوته بين محدثيه واستولى على الموضوع بحكمة ولباقة، وكان يمتاز من سواه بمعرفته اللغة الاجنبية واظهار الانكليزية، وهذه كانت تساعده في مهنته الصحفية مساعدة كبرى إذا كان يستمع إلى الاحاديث والاخبار من مصدرها كما كان يقرأ الصحف الاجنبية التي تتحدث عن

بلادنا والبلاد الأخرى ويستفيد منها كثيراً من الافكار التي كان يدخلها على مقالاته وتعليقاته في جريدة «النصر» مما جعل هذه الجريدة ذات مكان ممتاز بين جرائد ذلك العهد. لقد دعيت إلى داره مرّة في حفل غداء فكنت مأخوذاً بكرمه واناقته واتقانه الحديث مع ضيوفه، ولا أنسى انه كان يخصني بالتفات خاص فيسألني بعدما كان يحدث بيني وبين المرحوم السيد فخري البارودي وحسن تللو وسيد التلاوي ورجاء الشربجي من احاديث ضاحكة وقصص نادرة تدخل البهجة على القلب وتسر العين.

ثم تقلبت الايام وتغيرت الجرائد، بعد التأميم فذهب إلى لندن ليلتحق بولده رجاء التاجر المعروف الموفق إلى ان داهمته المنية منذ اشهر قليلة بعد ان بلغ من العمر أكثر من ثمانين عاماً قضاها اديباً وصحفياً محترماً.

رحم الله صديقنا الاستاذ أبا الرجاء، فقد كان بارزاً في عمله وصداقته وحسن عشرته.

أحمد الجندي



وديع صيداوي - أبو رجا -
صاحب جريدة «النصر» الدمشقية
بقلم: الأستاذ زهير مارديني

من الناس من يعيش في صمت، ويموت في صخب!

ومنهم من يعيش صاخباً، ويموت صاخباً.. ولكن الصمت لا يعني الوقوف على الهامش، بل إنه في أحيان كثيرة يعيش العيش كله، ويصارع الاحداث!

ومن الذين عاشوا صاخبين، وودعونا صامتين الاستاذ (وديع الصيداوي) صاحب جريدة (النصر) الدمشقية، الذي خاض المعارك الصحفية الصاخبة في سورية على امتداد ما يقرب من ربع قرن قبل أن يغادرنا في ديار الغربة بصمت، ويوارى الثرى في دمشق وسط صمته وصمت الآخرين.

إن لغة الصمت تصلح للاحياء وتصلح للموتى.

وأجمل ما في لغة الصمت انها تولد فلا تعرف انها ولدت إلاّ بعد وقت، وهي تعيشُ فلا يدركها تغيير ولا تطور، وهي لا تموت كما تموت لغات الثرثرة!

سئل أحد الصوفية:

- لماذا لا تتكلم؟ قال بعد لحظة صمت:

- إن تكلمت احترقت!

وبالرغم من غموض هذه العبارة تبدو حقيقية..! مثل اجتراء على جلال الموقف، أو قداسته.. فحين تفيض المشاعر، ويدنو طرف المجرّة البعيدة من طرفها القريب ويتحول علمك كله الى نغمة واحدة، وعبارات معلبة جاهزة ماذا تفعل عندئذ..

هل تتكلم أم تكتفي بالبكاء؟

ألا تحسّ ان الدموع هنا هي ابلغ تعبير يصدر من لغة الصمت؟

ألا تشعر، أن اللغة حينَ تنصهر وتذوب تتحول تلقائياً الى دموع صامتة؟

كيف لا يكون للصمت لغة؟

كيف لا تصدق ان البكاء، وهو صمت ذائب يعبر عن لغة من أرفع اللغات، وأعظمها قبولاً عند الله؟

وقد اختار الرجل بعد خروجه من دمشق التي التصق بها، وعشقها، وحارب الدنيا من أجلها عام ١٩٦٣ إلى ديار الغربة الشرسة ملتزماً لغة الصمت بعد أن أدار ظهره إلى (نصره) التي صمتت، وإلى ناسه، والغالي الغالي من الذكريات، واستقبل عالم الغربة القاسي بصمت، وهو الذي كان لديه الشيء الكثير ليقوله للناس!

إن الفواجع التي نعيشها ونصمت، هي التي دفعتني للتمرد على الصمت، والكتابة عن صحفي من بلدي كان دخوله عالم الصحافة إثراء للمهنة.

ومن المؤسف أنه في كل يوم يظهر كتاب جديد في العالم يتحدث عن شخصية صحفي كبير.. عن تاريخه.. وأسلوبه.. ومغامراته.. وحياته، والاحداث الجسام التي مرت به، ولكن المكتبة العربية خالية حتى الآن من أمثال هذه الكتب.

كنت أتمنى أن يصدر مثل هذا الكتاب عن (يوسف العيسى - أب الصحافة السورية) الذي فتح صدر صحيفته (ألف باء) لاصحاب المواهب يفرغون على أعمدتها مواهبهم، وكفاءاتهم، فظهر في جملة من ظهر الشاعر العربي الكبير (بدوي الجبل)، وكان شاعر الشام وأديبها (شفيق جبري) يقول عندما ينتهي من قراءة (مباءة نحل): (.. ان يوسف العيسى يسقي قراءه السمّ في برشامة)! وكان من خريجي «ألف باء» يوسف العيسى.

وكنت اتمنى ان يصدر كتاب عن الاستاذ (نجيب الريس) صاحب جريدة (القبس) الذي كانت مقالاته ينادي عليها باعة الصحف فيقولون:

(اقرأ افتتاحية نجيب الريس) فيقبل الناس على شراء الجريدة متلهفين!

كما كنت وسأظل أتمنى أن تصدر عشرات الكتب عن الاساتذة:

(حبيب كحالة، وجيه الحفار، نصوح بابيل، أحمد كرد علي و. . و. .) غيرهم من الصحفيين السوريين الذين ملأوا دنيا العروبة حياة ونشاطاً ودفاعاً عن قضايا العرب، ثم غادرونا في صمت: (ولا من قرأ ولا من دري)!

وإذا كنت أعجز من أن أحقق هذه (المعجزة)، فإن عجزي هذا لا يمنعني من الاقتراب من سيرة (وديع الصيداوي) للوصول إلى سريرته.

الكتابة عن الاستاذ (وديع الصيداوي) وعن (نصره) ليست بالسهولة التي يتصورها البعض!

لقد أصدر الرجل جريدة (النصر) ومراكب الحرب العالمية تطوي أعلامها، فاختار لها هذا الاسم الذي له من مسماه نصيب، والذي أعرفه أن هناك صحف كثيرة صدرت قبل الحرب وبعدها، ولكن أحداً من أصحابها لم يقدم على ما أقدم عليه الاستاذ (وديع الصيداوي) في (نصره) حين طلع على الناس بلغة غير تلك التي ألفها الناس من حيث الجرأة في التعبير، واصدار الاحكام السافرة على طائفة من الساسة سبق لهم أن خاضوا معارك النضال ضد الاجنبي!

كان الرجل يسميها (شجاعة)!

وآخرون وجدوا لفظاً مناقضاً، أو صفة أخرى مغايرة!

وكنت أسميها يومئذ ثقة، أو اعتداداً بالنفس!

والاعتداد بالنفس ليس دائماً في مجتمعنا المحافظ بالأمر المحمود العاقبة!

فكان الرجل يقدم على اصدار سلسلة من الاحكام ضد هؤلاء الذين انتقلوا من مقاعد النضال إلى (كراسي) الحكم يتهيب من إصدارها شيوخ الصحافة الذين خبروا السياسة ورجال السياسية!

ولكنه (وديع الصيداوي)!

لم يكن صحفياً فقط، فقد كان صحفياً خرج من دهاليز السياسة، وسياسياً يكتب في الصحافة، وكان مما يميزه عن أقرانه إيمانه بأنه لا قداسة في مجال النقاش والفكر السياسي إلّا للرأي الحرّ، ولا حكم إلّا للعقل الذي يميز الانسان بما هو إنسان، ولا ثقة إلّا في الاسلوب الصادق في التفكير الذي يبسط أمام الانسان سبيل النور والتقدم.

من كان يتابع مقالاته في (نصره) يتلمس من خلال السطور إيمانه بأن دور النقد لا يقل في خطورته عن دور البناء في أي موقع من مواقع العمل. . هو عنصر جوهري من عناصر البناء، يجنّبه الاخطاء، ويصيب معه الهدف!

هو حركة دائمة لا يكل ولا يملّ. . يجري هنا، ويجري هناك، والافكار والخواطر تجري في رأسه، وهو يريد دائماً أن يجري معها إلى نهاية الشوط، لا يهمه من يرضى، ومن يغضب!

ذكي مسرف في ذكائه إذا جاز التعبير، ولذكائه هذا لمحات، أو لمعات تبرق وتلمع في (نصره) كل يوم، ولكن اعتداده بنفسه أكثر من خصومه!

حين أصدر (نصره) قرر القادم إلى ساحة الصحافة السورية، والخارج من عباءة الجامعة الامريكية ببيروت، وصاحب الاسلوب المثقف في التعبير انه سيحرق كل مراكبه إذا أراد ارضاء الحقيقة، ولا بدّ انه تذكّر وهو يستعد لاصدار (نصره) ما قرأه وهو على مقاعد الدرس من قول للفيلسوف الفرنسي القديم:

(إن قول الحق لم يدع لي صديقاً)!

وبالفعل فان جريدة (النصر) لم تترك لصاحبها أصدقاء بالمعنى الحقيقي للصداقة، حتى ليكاد هؤلاء الاصدقاء يعدون على أصابع اليدين، وحتى (خالد العظم) صديقه الأحب والأقرب إلى قلبه لم يوفره من النقد حين أصدر مذكراته!

ومع ذلك، وفوق كل ذلك، فإن جريدة (النصر) خلفت وراءها من السمعة الصحفية ما يجعلها تتيه على أمثالها من الصحف العربية. وكم كنا نشعر بالزهو أمام زملائنا اللبنانيين حين يذكرون أمامنا مكانة صحفهم بخيلاء، فنرد عليهم:

ـ لدينا نحن في دمشق صحيفة لا تقل عن صحفكم تطوراً إذا لم تتفوق عليها وهي صحيفة (النصر)!

كنت في بداية عملي الصحفي من المعجبين بشجاعة الاستاذ (وديع الصيداوي) وأسلوبه، وطريقته في اختيار المحررين الذين يعملون معه، وحين ظهرت زاوية (الاحمر) في العمود الأخير من الصفحة الاولى، وعرّت معظم العاملين

في الحقلين الوطني والسياسي، وتناولتهم بالنقد والتجريح، أمسك هؤلاء بأعصابهم هلعاً. !

لقد كان محرر هذه الزاوية اليومية الاستاذ (فريد كيلاني) يغمس قلمه بالدم وليس بالحبر، واعتبر الجميع خطوة صاحب الجريدة (شاذة)، وقد عاش الصيداوي ليرى الناس وهم يعتبرون كل ما عداها شاذاً، فقد كان الكيلاني أديباً ساخراً، وناقداً من طراز فريد، وكان قراء (النصر) يبدأون بقراءة الجريدة من زاويته، وبالرغم من أن الكيلاني كان موظفاً مرموقاً في جمرك (حمص) فان أحداً من الحكام الذين أصابهم شواظ قلمه لم يفكر في ايذائه، فقد كان للحرية يومئذ قداستها وطهرها، !

إن الكثرة الغالبة من الصحفيين والكتاب تقرأ، ولكن قلائل هم الذين يهضمون ما يقرأون، ووديع صيداوي في المقدمة!

يهاجم فلا يشعر بمرارة هجومه على حقيقته إلّا من يهاجمه لأنه يعرف أين يضرب في العمق، ومتى يضرب!

ذاق حلاوة الرفاهية فما عاد يطيق بعدها مرارة الكفاح الطويل، ولو تزعم كتّاب السياسة المكافحين المناضلين لكسبت سورية على يديه الكثير، ولكنه اختار جانب الصمت!

حين كان في الحلبة يهاجم، وينقد، ويتصدى، ويصارع الاحداث عبر قلمه سجل مرحلة هامة من تاريخ سورية أيام الوحدة، وخاصة أيام الانفصال، بحيث لا يمكن لأحد من المؤرخين الذين يتصدون لتحليل الاحداث يومئذ أن يتجاهل ما نشرته (النصر) في الاربعينيات والخمسينيات وحتى الستينيات، فهناك سيجد كل الاحداث مسجلة بطريقة مكشوفة.

أثناء وجود الاستاذ (وديع الصيداوي) في بيروت بعد خروجه من المعتقل السياسي، طلب مني أن أساعده في اعداد ترجمته لمذكرات (آلن دالاس) مدير المخابرات الامريكية المركزية أيام الاعصار الامريكي المدمّر الذي هبّ على المنطقة، ومخططه الذي رسمه لتأديب سورية بالانقلابات، وبعد مضي ثلاثة أشهر في العمل المتواصل ليلاً نهاراً توقف عن متابعة ترجمة هذا الكتاب الخطير الذي أصدرته الموسوعة البريطانية عام ١٩٧٠ (كتاب السنة)، ولم يتجرأ أحد من التراجمة العرب المستأجرين، على الاقتراب منه لخطورة المعلومات التي تضمنها عن الحكام العرب يومئذ، وقال لي:

ـ أنا لا أخاف على نفسي، ولكنني أخاف عليك!

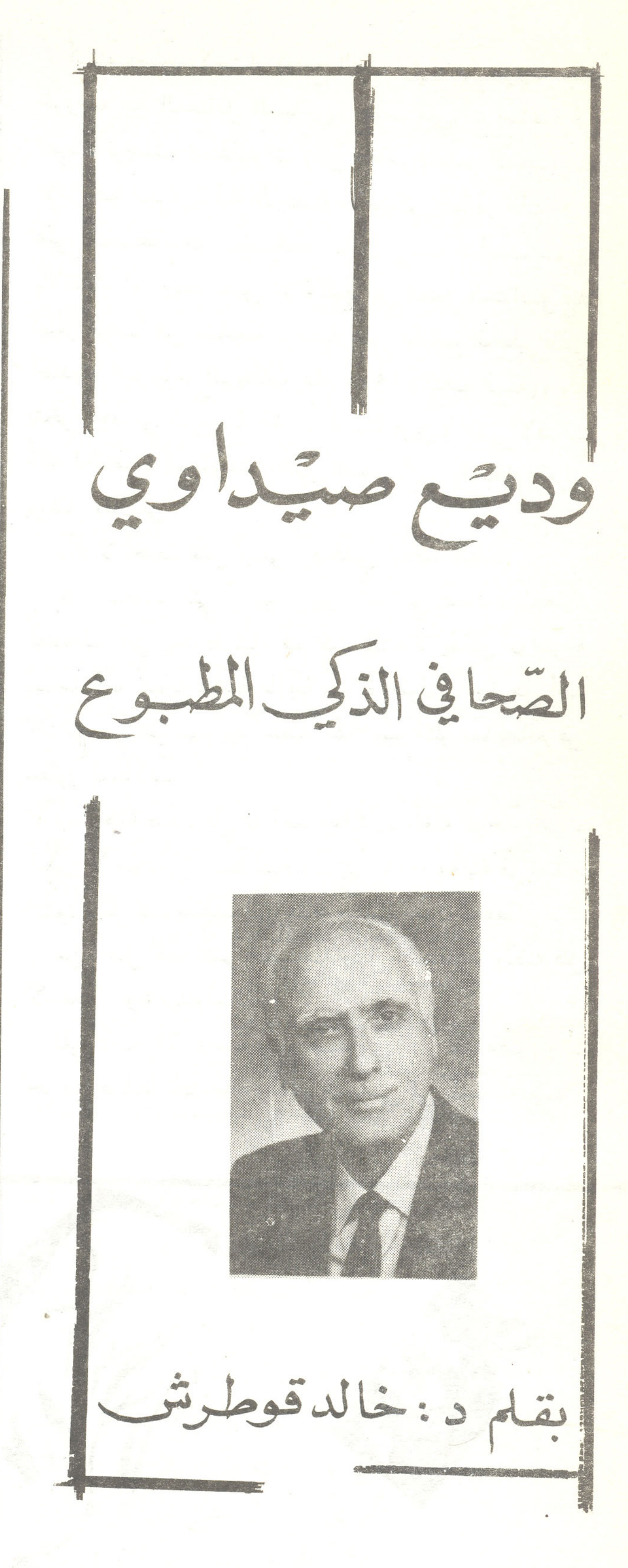
هذه الحادثة التي أرويها تروي، كما في صدفة، المعارك الصحفية التي يخطط لها، فما كان يكتبه لا يمكن أن تمرّ به بسرعة لانه نتيجة دراسة طويلة وقراءة أطول.. والرجل أحد القلائل من نقرأ لهم بين سطور مقالاتهم أكثر مما نطالع في سطور المقالات.

ليس هذا فقط، بل انه أحد القلائل ـ ولعله الواحد الفرد ـ الذي لا يتحايل دائماً للوصول إلى هدفه وغايته في حدود القانون، بل كان يذهب إلى هدفه مباشرة بدون تحفظ!

من أجل هذا كثر خصومه وقلّ أصدقاؤه، ولكنه ظل الاستاذ.. وتلاميذه أساتذة!

ففي ذمة الله ورحابه وديع صيداوي... لقد مضى رائد آخر من عمالقة الصحافة والقلم السياسي في بلدنا الحبيب.





عرفته أولَّ مرة، كان ذلك في مطلع شهر حزيران من عام ١٩٥٠، قبل سفري إلى باريس بأيام. تعارفنا كان وساطة هذا التعارف الصديقان الأديبان: أحمد شكري وبشير كعدان. حيث كانا أمينيْ سرِّ قلم التحرير في جريدة «النصر» الدمشقية لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ وديع صيداوي. قدَّماني اليه في مكتبه الانيق من دار «النصر» المطلة على ساحة المرجة العريقة في القدم كقدم دمشق وما مرَّ عليها من أحداث وأزمان مفجعة ومفرحة؛ والأحداث مازالت تترى وتمر، ودمشق صامدة صمود قاسيون.

عرفت وديعاً بشخصه، وقد كنت عرفته، قبل أعوام خَلَتْ، بفكره وقلمه، على صفحات «النصر» في مطلع ظهورها، عام ١٩٤٢، حين لاح النصرُ للحلفاء أكيداً، بعد معركة (ستالين غراد). وسَرْعانَ ما تبوَّأتِ «النصرُ» عرشَ النصرِ، على الرغم من صغر سنِّها؛ ونالت مكان الصدارة بين صحف ذلك العهد: كالأيام وألف باء والقبس والمعلم وفتى العرب والرأي العام وغيرها من الصحف اليومية الكثيرة. يشرف عليها صحافيون أعلام كنصوح بابيل ويوسف العيسى ومعروف الأرناؤوط ونجيب الريس وغيرهم..

أول ما جلب انتباهي في وديع، لدى رؤيته عن قرب، ذاك البريق الذكي المبعث من عينيه الخضراوين العسليتين، وتلك الوداعة الواعية الفطنة المبثوثة في شخصيته الوديعة المتواضعة ولكنها في الوقت نفسه، القوية المحنكة، والعارفة بمداخل الأمور ومخارجها، والواثقة بنفسها ومن آرائها وأحكامها ومواقفها اللبقة والذكية جداً.

أذكر، والشيء بالشيء يذكر، ان التقدميين، في ذلك العهد، وكنت أحدهم، صاروا يربطون كلمة «النصر» بكلمة «فيكتوريا» الانكليزية، والانكليز خارجون من الحرب، وان كانوا منتصرين مع المنتصرين، ولكنهم خارجون منها منهوكي القوى متعبين. وطرق مسامع الاستاذ وديع ذلك الغمز واللمز والتهم التي كانت توزع على الناس جزافاً، يتهمونهم بالانهزامية والرجعية والعمالة، وممالأة الرأسمالية والامبريالية. وقد أعادت اليهم «بيري ستروبكا الأخيرة» ولله الحمد، اعتبارهم الأخير. فبدت رؤيتهم المسَفَّهة سابقاً، بانها هي التي كانت صائبةً صادقة.

فصار وديع يردُّ هذه التهم عن جريدته بلباقته وذكائه وحنكته ووطنيته، ودأبه على العمل الصحفي الممتاز. ولا يمكث أخيراً وآخراً غير العمل الناصع الرصين المخلص. فكسبت جريدته ثقة الجماهير وأصبحت أكثر الجرائد الدمشقية شعبيةً ومرغوبة ومستهواة، وسجّلت الرقم القياسي في المبيعات. وثمن العدد الواحد خمسة عشر قرشاً فقط. يابلاش!؟!

ذلك برهانٌ، لا ريب فيه، على ان وديعاً كان صحافياً مطبوعاً وأديباً ذواقاً مرموقاً. يتقن فنَّ الصحافة علماً وتطبيقاً.

كان رحمه الله، بحق وبلا ريب، مطبوعاً على الفن الصحفي، ومصلحاً اجتماعياً هادئاً ووطنياً عربياً مخلصاً يفهم الوطنية والعروبة حسب مفاهيمه الخاصة التي لم تكن يمينية ولا يسارية، بل كانت بناءة هادئة كنور القمر الهادىء في صحراء موات لا ماء فيها ولا اخضرار، ولكن فيها الأمل والدأب والاستمرار.

ولما عرض الصديقان شكري وكعدان على الاستاذ وديع، فكرة سفري إلى باريس، وباريس في تلك الحقبة لم تكن معروفة في بلادنا كما هي معروفة اليوم؛ كانت مدينة في أعين الناس، فاضلةً وغير فاضَلة، غامضة كأنثى جميلة متحجبة في قصر الحريم، يتخيلها العشاق كلٌّ على هواه؛ مدينةٌ متسترة خلف بُرْقعِ اللاشعور في **التابو والليبيدو** ـ على حد تعبير رائد علم التحليل النفسي فرويد ـ مدينة تجمع بين الغرائز البشرية على شتى أنواعها، وتضم ما أبدعه الفكر الانساني من فن وأدب ورسم وتمثيل. . .

واقترح الصديقان على الاستاذ وديع، ان أكون مراسل جريدة النصر في رحلتي هذه، أوافيها بكل طريف مستظرف وظريف غريب يستشوق القارىء والسامع، والظاعن والمقيم. فوافق الاستاذ مرحباً ومنحني بطاقة «مراسل جريدة النصر في باريس» باللغتين العربية والفرنسية. فسهلّت لي هذه البطاقة المسماة «كوب فيل» دخول الأماكن الصعبة المغلقة، والاختلاط بالمجتمعات الباريسية وحضور الاجتماعات السياسية والعلمية والأدبية. فعملت هذه الثقةُ عملَها في نفسي، وسافرت. وأخذت أدون انطباعاتي عن رحلة باريس مدينة النور والظلام، مدينة الثراء والفقر، مدينة الحرية والعبودية، مدينة الحضارة الانسانية المتفتحة إلى أقصى حدود التسامح الفكري، ومدينة الاستعمار والاستغلال، وتسلط مصارف المال. . .

أدون في دفتري ما أشاهد وألاحظ وأقارن بين الشرق والغرب، وبين ما عندنا وعندهم، وما ينفعنا علمهم وتقنياتهم وتطورهم، وما لا ينفعنا من أوبئتهم الاجتماعية وانحرافاتهم السلوكية. وعندما عدت إلى الوطن، وضعت بين يديْ صاحب النصر الاستاذ وديع مجموعة مذكراتي عن الرحلة. وأخذ الاستاذ يقلبها، وكانت لديه قدرة نادرة في تقويم المقالات بسرعة البرق، وهذه صفة لازمة ضرورية بل من ضروريات العمل الصحفي.

وشرع بنشر هذه المذكرات والريبورتاجات في جريدته «النصر» وظهرت الدفعة الأولى منها في العدد (١٧٦٢) من السنة الثامنة بتاريخ ٢ محرم ١٣٦٩ هـ و١٣ تشرين الاول لسنة ١٩٥٠ م وقدمها للقراء بكلمة استحسان وثناء ولفت الانظار، تنم عن نبل في الاخلاق واتساع في الفكر والقلب والوجدان. ومما جاء في كلمته:

«هذه مذكرات منتزعة من صميم الواقع والوجدان كتبها الاستاذ خالد قوطرس ببراعة بارعة، فسكب من فنه وإبداعه على هيكلها الشيء الكثير. فهي سطور من الأدب مترعة بالمشاهد والحوادث قبسها عن باريس وغيرها من أمهات المدن، خلال جولته في اوروبا في أثناء الصيف. ولو كان كل سوري عربي يضع لبنة واحدة في بناء التأليف والأدب مما يراه ويلمسه في ديار الغرب اذن لأصبح لدينا مجموعة خالدة من الاخلاق والمعلومات والدراسات الاجتماعية تسدي إلى الشباب السوري والمجتمع العربي خير يد وأفضل عون.

ان الريبورتاج الحالي هو حلقة من سلسلة أراد الكاتب إهداءها «للنصر» ليطلع القراء على عالم جديد من وراء انطباعات فنية تغلب عليها صبغة «الخام» الصرف. فهي والحال هذه صورة صادقة لمجتمع أدبي متمدن نحن في أشد الحاجة لدراسته والاطلاع على أسراره.

و«النصر» اذ تشكر للاستاذ قوطرش همته وعنايته تلفت نظر قرائها إلى هذه القطعات الرائعة من الأدب الغض الحديث».

ذلكم وديع صيداوي الصحافي الذي جعل من جريدته وسيلة عبور بين الشرق والغرب، بين الأدب العربي الحديث والآداب العالمية الأخرى. فكان بحق أحد الرواد القلائل الذين أسهموا، بدون تيهٍ أو اختيال، في تغذية النهضة الفكرية

والأدبية وتشجيعها في القطر العربي السوري.

وأذكر، والذكرى تبعث الذكرى، اني نقلت، في أحد الريبورتاجات، حادثةً حدثت معي سردتها كما حدثت، دون زيادة ولا نقصان. ذلك أني، أحببت ذات مساء، ان ألج نادي الوجوديين الذي كان حينذاك في شارع سان جرس. والوجودية في الخمسينات كانت موضةالعصر في اوروبا، اتخذتها جماعة من الشباب المستهترين طرازاً غريباً لحياتهم اليومية الطائشة. حتى ان فيلسوف المذهب الوجودي جان بول سارتر تبرأ منهم ومن سلوكهم المتسيّب. وسرعان ما تقشعت ولله الحمد، هذه الحركة الوجودية من الوجود.

وعندما عزمت على زيارة نادي الوجوديين، استقبلني لدى الباب، فتىً أفريقي أسود وفتاةٌ باريسية شقراء بادرتني تقول:

ـ هل أنت عضو في النادي ياسيد! إذْ لا يدخل النادي إلا من كان عضواً فيه!

فأجبتها حالاً ولم أدعْ للارتباك أن يستولي عليَّ:

ـ إني ياآنستي الحسناء عضو في نادي شاعرنا الوجودي الكبير أحمد الصافي!

فأشرق وجهها أكثر مما هو مشرق وقالت:

ـ ومن يكون شاعركم هذا؟!

ـ شاعرنا هو من قال في الفلسفة الوجودية أشعاراً لم يقلها فيلسوفكم جان بول سارتر. إنه يقول:

«هل جئت دهريَ هذا في أواخره
أو أنني في وجودي سابق زمني!؟»

وقوله:

«فَقْدُ غيري يزيد نفسيَ حتى
لو فَقَدْتُ الوجودَ صرت وجودا
والردى فَقْدُ كلِّ شيءٍ ومعنا
هُ الوجود الذي يسمى خلودا.»

ـ عظيم جداً. تفضل وادخل، فقد اصبحت عضواً في نادينا. وكم أحب ان أعرف شاعركم!

ـ خيرٌ لكِ ياآنستي ان تسمعي الشعر ولا تري الشاعر!!

ولما قرأ الصافي ما كتبت في «النصر» وكنا جالسين في حلبته الخاصة في مقهى الكمال، وكانت تضم أدباء ذلك الزمان، ردَّ عليَّ الصافي مازحاً، وكان من ظرفاء المزح المطبوعه:

ـ إنها الغَيْرةُ. غرت مني على بعدٍ مديدٍ بيني وبينها. لقد عشقتني تلك الشقراء الباريسية. ألم تسمع ياأطرش! قولَ أبي نواس:

«والأذن تعشق قبل العين أحياناً»

وكان وديعٌ صحافياً بالفطرة، بعيد النظر له قدرة فائقة على تحليل الاخبار والتعليق عليها، بمهارة وحذق وذكاء. فقد نشرت النصر ذات مرة خبراً عنوانه:

«ماذا في مصر» تنبأ، بناءً على الاخبار الواردة من مصر، بان انقلاباً عسكرياً سيحدث على الملك فاروق ونظامه الفاسد. وان ثورة اجتماعية ستهب في أرض الكنانة. ومما جاء في هذا المقال المذيل بحرفين: أ. ش. وأظن ان كاتبه هو صديقنا أحمد شكري أمين سر التحرير، كتبه بتوجيه من الاستاذ صيداوي الذي كان يكتب ويوجه ويصحح ويرتب وينسق كلَّ شاردة وواردة وردت في الجريدة ولا يسمح بنشر خبر أو إعلان إلا بعد الاطلاع. فكان يسهر الليل كلَّه. تُقَدَّمُ له البروفات الأولى والأخيرة؛ فالنصر كانت تصدر صباحية، كان رحمه الله شعلةً من النشاط لا تنطفىء وحركةً لا تقف.

جاء في هذا التعليق الهام «ماذا في مصر»:

«ان حدثاً انقلابياً كالذي يشار اليه في مصر قد تكون التكهنات المثيرة إلى توقع حدوثه تستند إلى عوامل وأسباب لها ظواهرها في المجتمع المصري. فاذا حدث شيء من هذا القبيل فليس له معنى آخر سوى انه خطوة نحو نظام أكثر شعبية وديمقراطية في مصر.

ان الحالة في مصر بصورة عامة ليست طبيعية ولا يمكن القول انها تسير في مجراها المعتاد وهناك من الشكاوى الطافحة المريرة، رغم المبالغات ما يشير إلى المساوىء البارزة في المجتمع المصري ويبدو ان الحكومة الوفدية التي أوصلها الشعب إلى دفة الحكم لم تستطع حتى الآن ان تفي بوعودها، برفع مستوى المعيشة وتنزيه الحكم من الاستغلال وخفض الاسعار وتحسين الوضع الاجتماعي بصورة عامة. يضاف إلى ذلك فضائح صفقات الاسلحة في الجيش التي تحدثت عنها الصحف المصرية باسهاب وصراحة. وقد تكشفت عن أشياء يندى لها الجبين ويطأطأ لها رأس الانسانية خجلاً ـ اذا صح ما ذكرته هذه الصحف عنها ـ ومنها شراء اسلحة ترتد على مطلقها، وقذائف تنفجر في يَدِ قاذفها؛ وقد

ذهب ضحية لها مئات الجنود المصريين المسالمين الذين لم يقتلهم رصاص اليهود بل قتلتهم خيانة البعض من رؤساء لجان شراء الاسلحة بالتآمر مع كبار في مظاهرهم ونفوذهم، صغار في حقيقتهم ونفوسهم. وهذه الفضيحة أشاعت في سواد الجيش نقمةً على المتآمرين ربما تتوسع حتى تشمل معظم الرؤساء. وقد طالب الضباط الصغار في الجيش المصري فعلاً بتطهير الجيش من جميع المساوىء والاستغلالات كما ذكرت الصحف المصرية نفسها.»

نشر الاستاذ وديع هذا التحليل والتعليق في جريدته «النصر» في تشرين الأول سنة ١٩٥٠. وكلنا يعلم ماذا حدث في مصر بعد عامين في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢. فجاءت توقعاته الصحافية مصداقة لتعليقاته الاخبارية.

ذلك دليل على قدرته في فن الصحافة، وبراعته في ميدان صاحبة الجلالة.

ومن فطرته الصحافية، كان يتصيد الخبر الجديد الطريف، يسبق بنشره زملاءه الآخرين. على مبدأ **الجدة والطرافة**؛ تمشياً مع قول من قال: «اذا نشرت في جريدتك ان كلباً عض رجلاً، فتكون وكأنك لم تنشر شيئاً. أما اذا نشرت ان رجلاً عضَّ كلباً، فانك تثير في القراء غريزة حبِّ الاستطلاع وميلهم إلى مطالعة غرائب الأمور، حتى لو كانت هذه الاخبار بعيدة عن الخيال والواقع، وضرباً من الوهم والتوهم. ولكنها في كل الاحوال ترضي النفس الانسانية وولعها الفطري بالخرافة والاسطورة.

من حذقه في فن الصحافة انه كان يستدرج الشخصيات السياسية بلباقة متناهية، إلى الحديث والتصريح عن مشاريعهم ومشاريع احزابهم، وما ينوون عمله في المستقبل. ومن يرجع إلى أعداد «النصر» يجد ذلك بجلاء ووضوح ويذكرني هذا الحديث بحادثة وقعت لصحافية امريكية ناشئة وابان النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة. ذلك ان هذه الصحافية المبتدئة، جاءت إلى أكبر جريدة في ذلك الوقت، وطلبت من صاحب الجريدة ان تعمل في جريدته كمخبرة. فقدر صاحب الجريدة جرأة هذه الفتاة التي لما تبلغ الثامنة عشرة وقال لها:

ـ أوافق بشرط واحد، هو ان تأتيني بحديث من رئيس الجمهورية حول أي امر كان.

وكان هذا الرئيس معروفاً بتمنُّعه المطلق عن إدلاء أي حديث إلى الصحف، وانه يرفض رفضاً قاطعاً الاجابة عن كل سؤال يوجهه اليه محررو الصحف ومروجو الاخبار. ولم يُعرف عنه انه تورط بما يخالف ما أخذه على نفسه...

فرضيت الفتاة بهذا الشرط وانطلقت تبحث عن وسيلة تصل بها إلى رئيس الجمهورية فعلمت ان الرئيس يسبح وحده، صباح كل يوم أحد على شاطىء البحر في مكان قصي عن العيون. فاكتشفت بتحرياتها الخاصة المكان وذهبت اليه، قبل وصول الرئيس، واختبأت وراء صخرة. ولما حضر الرئيس وخلع ثيابه كلّها وبدا عارياً تماماً غطس في الماء وأخذ يسبح مبتعداً عن الشاطىء. فتسللت الفتاةُ وأخذت ثياب الرئيس وأخفتها. ولما أنهى الرئيس رياضته واستحمامه جاء اليم، واتجه نحو ثيابه ليرتديها، لم يجد لها أثراً. فذعر مدهوشاً وبدا عليه الارتباك. عندها نادته الفتاة برقة واحترام من وراء صخرة:

ـ لا تقلق ياسيدي الرئيس! ثيابك معي. لقد هيأت لك عشر اسئلة مكتوبة. تفضل خذها وهذا القلم. وأجب عنها وذيلها بتوقيعك. رُدَّ علي الورقة مع أجوبتك، أردد عليك ثيابك...

فلم يجد الرئيس بداً من الرضوخ. وعادت الفتاة ظافرة. واصبحت فيما بعد ألمعَ صحافية في الولايات المتحدة الامريكية...

وكان وديع، إلى مزاياه الصحافية، وطنيَّ المرمى، عربيَّ الهدف. نشر وهو المسيحي، في جريدته «النصر» بمناسبة حلول عيد رأس السنة الهجرية، كلمةً حول هذه الذكرى العزيزة على قلب كُل عربي ومسلم يقول:

«في مثل هذا اليوم، حيث تمتد يد الزمن فتنتزع من تقويم الايام ورقةً شاحبة هزيلة تكشف عن بيضاء ناصعة، تحمل عام جديد للعرب والمسلمين. في مثل هذا اليوم تتطلع الابصار نحو مستقبل باسم مزدهر، نأمل فيه بعثَ مجدٍ وحياة جديدة تملؤها العزة والفخار. في هذا اليوم يحتفل المسلمون والعرب بمطلع عام ١٣٧٠. حيث يلهجون بذكرى هجرة المحرر الأكبر وصاحب أكبر رسالة في التاريخ محمد العظيم (ص). ونحن اذ نذكر العرب والمسلمين بيوم الهجرة لا نعني بها انتقالاً سياسياً من مكة إلى يثرب فحسب، وانما نعني بذلك التطور الخطير الذي أحدثته الهجرة في حياة العرب،

فانقلبوا من البداوة إلى الحضارة ومن رمال مكة وبطاحها إلى انشاء مدنية باذقة وملكٍ لا تسعه الأساطير، وعدالةٍ لم ير مثلها التاريخ . ان الهجرة حدث خطير. وعلى العرب والمسلمين ان يتخذوا منه النهج الصالح ومن ذكراه القوة والأيد لاعادة المجد، والذود عن الكرامة باتباع مبادىء الهجرة وتشريع صاحبها الرسول الكريم . اعادها الله على العرب والمسلمين باليمن والخير والكرامة . »

قد تقول ايها القارىء وأنت تقرأ هذا الكلام، في ذكرى الهجرة، هجرة الرسول العربي الأعظم، ان مُنْشِئَهُ شيخٌ من شيوخ الأزهر الشريف أو إمام من أئمة جامع بني أمية الكبير. . . والعربي المسيحي، في نظرنا، اذا كان عربياً صحيحاً مخلصاً في عروبته، لابدَّ له ان يقدر محمداً ويحبه ويعجب بالاسلام ومبادئه ديناً وتشريعاً. فالعروبة جسد والاسلام روحه. ولا حياة لجسد بلا روح، ومَثَلُ العربي المسيحي كمثَلِ الهندي المسلم الذي يحب العرب لأن القرآن عربي، ورسول الاسلام عربي .

منهج قويم انتهجه وديع صيداوي في جريدته طوال عمله الصحافي، جاعلاً شعار جريدته «النصر» الآية الكريمة :

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم»

وكان وديع يحب زملاءه الصحافيين ويقدرهم ولا يحمل حسداً لهم، ولا يحقد على أحدٍ منهم، ولا يرميهم بدسٍ وقدحٍ أو تسفيهٍ وتشهير. كما يجري عادة بين أرباب المهنة الواحدة، وبخاصة بين الصحافيين والأدباء والفنانين، كما رأينا ونرى. يسعى بعضهم ببعض، خشيةً من منافسة على مركز، أو تقرباً من مسؤول، أو تحاسداً على شهرة زائفة أو طمعاً في منصبٍ زائل، أو سقماً نفسياً يغشى نفوسَ أرباب القلم والفكر والفن. استمع إلى ماكتب في جريدته عن زميله الصحافي نصوح بابيل :

«وفقاً لما أشرنا اليه في عددنا السابق، وصل عند الساعة الرابعة من بعد ظهر أمس الزميل الكريم الاستاذ نصوح بابيل نقيب الصحافة وصاحب «الايام» الغراء عائداً من رحلته في ايطاليا وتركيا التي استغرقت قرابة أربعة أسابيع، زار خلالها معرض «باري» بدعوة من إدارة المعرض، كما زار مدن ايطاليا الكبرى وآثارها التاريخية ثم عرج على استانبول في طريق عودته، قضى فيها عشرة أيام، وقف خلالها على الحالة في بلاد الجار الشمالي، وعاد من استانبول بطريق الجو إلى بيروت. فوصلها ظهراً أمس وتابع سفره بالسيارة فبلغ دمشق عند الساعة الرابعة. وقد كان في استقباله في ظاهر دمر جمع غفير من زملائه واصدقائه واخوانه، من صحافيين ومدراء شركات وصناعيين وتجار وأدباء وشباب. فاستقبلوه بمجالي الحفاوة والتكريم وهنؤوه بسلامة العودة. وبعد ان قضى المستقبلون ردحاً من الوقت في دمر يحيطون بالاستاذ بابيل ويستوضحون منه عن رحلته رافقوه حتى داره على رتل طويل من السيارات.

فنرحب بالزميل الكبير أجمل ترحيب مهنئين بسلامة العودة. »

أشعر ان هذا الكلام ليس مجرد مجاملة زميل لزميل، بل أشعر بانه خارج من قلبٍ صافٍ وفي، مفطور على حب الناس، وتقدير من يستحق التقدير.

رأيته آخر مرة، وكان ذلك في شهر آذار من عام ١٩٧٥ بشارع الحمرا في بيروت. حيث اتخذ من العاصمة اللبنانية ملجأ ومستقراً. رأيته يسير وحيداً، ذات مساء، فتصافحنا وتعانقنا وجلسنا في مقهى من مقاهي الشارع. نستعيد حلو الذكريات ومرَّها. وسبح خيالُ كلٍّ منا في صور الماضي البعيد القريب. متفائلين حيناً ومتألمين أحياناً - ألمٌ فيه قوة الألم وصلابةُ الصبر- حُجُبٌ خَلْفَ حجب. كهفٌ يبتلعُ شمسا، وأمةٌ تهبط رَمْسا. ورحم الله شيخَ المعرة ومعجزةَ المجرة، يصفُ البلاد والعباد. قولٌ قيل قَبْلَ ألفِ عام، ولايزال جيدياً على مرِّ الأيام :

«تناهيتِ العيشَ النفوسُ بقوةٍ

فإن كنت تسطيع النهابَ فناهبِ. »

وخيَّم علينا صمتٌ رهيب. فقمنا مغادرين المقهى مودعين، واتجهنا مختلفين. اتجه هو نحو الغرب من شارع الحمرا، واتجهت أنا شطر الشرق، وفي عيوننا ظلالٌ من كآبةٍ ظليلة، وفي قلوبنا حزنٌ على أمسٍ آفل، وفي عقولنا رجاءٌ لغدٍ مقبل.

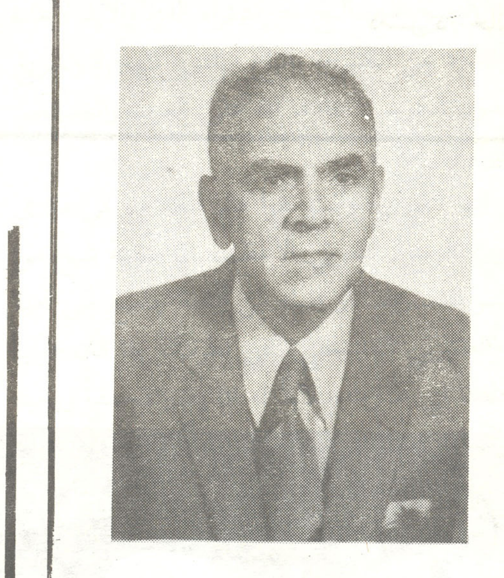
افترقنا صاحبي وأنا، والفؤاد منا يردد، في أعماقه، قولَ القَشيْري:

«وأذكـر أيامَ الـحـمـى ثم انـثـنـي
على كبـدي من خَشْـيةٍ أن تصـدَّعـا.»

رحم الله وديعاً في وداعته الأخيرة...

دمشق د. خالد قوطرش





الأستاذ عبد المعين الملوحي

كلمة في وداع المرحوم الأستاذ وديع صيداوي

بقلم الأستاذ عبد المعين الملوحي

اول قصيدة:

عام ١٩٣٦، تقدمت الى فحص الشهادة الثانوية الاولى (الفرع الادبي) وعندما أعلنت النتائج تبين لي أني راسب. وأن علاماتي كلها كانت ٤٨ علامة.

جاء استاذي المرحوم خليل مردم الى (الثانوية الاهلية) في دمشق، وكنت طالباً فيها، وهو غاضب - وقل أن يغضب - يصيح:

- أين هذا المجذوب الحمصي؟ ينال في اللغة العربية ٤٠ علامة على ٤٠ وينال في كل المواد الاخرى ٨ علامات؟!

وسمعته يصيح، فخجلت وهربت الى غرفتي في الصالحية، وبدأت انظم قصيدة في رسوبي - إن الشعر ملاذ الاشقياء - وتمت القصيدة في ساعات، كان عنوانها «ثورة على البكالوريا».

البحث عن ناشر:

أردت أن أنشر القصيدة، وما كنت أظن أنها أهل للنشر، فحملتها وطفت على جرائد دمشق، ووجدتني أمام باب جريدة «الف باء»، ودخلت متردداً مكتب الجريدة.

سألت عن الاستاذ يوسف العيسى، صاحب الجريدة، فقالوا: إنه عائب، وإن رئيس التحرير ينوب عنه.

مع رئيس التحرير:

دخلت غرفة رئيس التحرير على استحياء:

طالب راسب في الثانوية، ومع ذلك يريد أن ينشر قصيدة.

استقبلني شاب جميل الطلعة، وسألني أن أجلس أولاً ثم سألني: ماذا أريد.

حدثته عن رسوبي في الثانوية، فأبدى أسفه ثم شجعني على الاستمرار في الدراسة، وحدثني عن النملة التي صعدت على العمود ٣٩ مرة فسقطت ثم صعدت المرة الأربعين فنجحت. وأحسست أني أمام إنسان كريم.

وقدمت إليه القصيدة، فجعل يقرأ منها أبياتاً ووعدني بنشرها.

عرفت أن الشاب الوسيم كان المرحوم الاستاذ وديع صيداوي، رئيس تحرير جريدة «ألف باء» حتى عام ١٩٤٣.

وبعد يومين وجدت القصيدة كاملة منشورة في جريدة «ألف باء» في عددها ٤٦٦٨ الصادر في ١٥/ ٧/ ١٩٣٦.

حرفة الأدب:

إذن فأنا شاعر، أو هكذا خيل إلي، وإذن فان الصحف ترحب بنشر قصائدي.

ومنذ ذلك العهد حلت بي حرفة الأدب، ولم تتركني حتى اليوم، ومازلت مسروراً بحملها الثقيل على كتفي، وأنا في طريقي الى الثمانين، وأظن أني سأظل أحملها إلى القبر.

جريدة النصر:

وبعد سنوات في عام ١٩٤٣ نال الاستاذ المرحوم امتياز جريدته «النصر».

لقد كانت فألاً حسناً بنصر الشعب العربي السوري على الاستعمار الفرنسي، كانت بشرى تحققت عملياً بعد سنتين أو ثلاث من اصدار الجريدة. وانضمت «النصر» الى الصحف الوطنية المناضلة آنذاك، وظفرت الصحافة العربية السورية برجل مثقف ذي أخلاق.

كانت هذه الصحف في ذلك العهد البعيد زادنا في الوطنية والسياسة وفي الأدب أحياناً، وقد نشرت فيها وفي جريدة «النصر» عدداً غير قليل من المقالات والقصائد.

والجدير بالذكر أننا ظللنا فترة طويلة نشتري مقالاتنا وقصائدنا التي تنشر لنا، عندما نشتري هذه الصحف.

كانت جريدة «النصر» سجلاً لنضال الشعب العربي السوري في سبيل استقلاله وحريته، لم تهادن الاستعمار الفرنسي، يوماً من الايام، وظلت راية من رايات الكفاح القومي يحملها الاستاذ الصيداوي في جرأة وشجاعة منذ عام ١٩٤٣، حتى توقفت الصحف الخاصة عن الصدور.

نشاطات أخرى:

ولم يقتصر نشاط المرحوم على جريدته، بل كان يوزعه على كثير من أوجه الحياة: فقد كان عضواً في مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر، وكان عضواً في مجلس إدارة جمعية الطيران، كما كان أمين سر نقابة الصحافة وأصحاب الصحف، وكان في نشاطاته الاضافية هذه مثالاً للرجل القادر على الوفاء بحق وطنه ومجتمعه عليه.

بعد ثلاث وخمسين سنة:

قبيل وفاته رأيته عند مفرق «دار السلام» فسلمت عليه وسلم علي، ثم انصرفنا. تذكرت ذلك الشاب النشيط الوسيم الذي رأيته منذ ثلاث وخمسين سنة، ولعله تذكر ذلك الفتى الراسب في البكالوريا الذي نشر له قصيدته الاولى.

كلمة عزاء:

رحم الله الاستاذ الصيداوي، وعزائي لأسرته المفجوعة وأبنائه الكرام.

دمشق ١٥/ ٣/ ١٩٨٩

عبد المعين الملوحي

وديـع صيـداوي



د . عبد اللطيف اليونس

بقلم
د . عبد اللطيف اليونس .

عرفته منذ اربعين عاماً ونيّف .

وكنا نتّخذ من مكتبه، في ساحة المرجة محطة لنا ـ وللقاءاتنا مع بعض الادباء والمفكرين .

كان اكثر ما يمتاز به «وديع صيداوي» تواضعه وواقعيته، وبعده عن الزهو وحب الظهور .

ومع ذلك . . فقد كان معروفاً كثيراً، وموضع تقدير ومحبة كل من يعرفه . لطيف المعشر، مهذب الكلمة، وصادقها وصريحها . يمتاز بالرصانة والرزانة، وبعده عن المهاترات .

وكانت البلاد، في مطلع الخمسينات، قد بدأت تشقّ طريقها في مجالات التحرر من الامبريالية وتبعيتها، والسير في فلكها . . وتتّجه اتجاهاً سليماً قويماً .

وكنت في ذلك الحين ـ سنة ١٩٥٠ ـ قد تقدمت بمذكرة جريئة الى «الجامعة العربية»، عن طريق المجلس النيابي السوري الذي كنت عضواً فيه، أطلب من الدول العربية أن تؤمّم البترول، وجميع الشركات الاجنبية، وتلغي معاهداتها واتفاقاتها مع امريكا وفرنسا وبريطانيا . . . وتعقد اتفاقات سياسية وعسكرية واقتصادية مع الاتحاد السوفياتي ـ لان دول الغرب ضالعة كلها في خدمة اسرائيل ومساعدتها ودعمها وتبنّيها . . وانه لا مناص للعرب من الاتفاق مع السوفيات لدرء خطر الصهيونية، وللتحرر من الدول الامبريالية .

وكانت تلك «المذكرة» المذكرة الجريئة . . أول صوت يرتفع في الشرط الاوسط مطالباً بتأميم البترول، والغاء المعاهدات مع الغرب، وتأميم جميع شركاته . . والاتجاه نحو السوفيات، والاتفاق معهم عملياً .

وقد احدثت تلك «المذكرة» ضجة كبرى، في العالم بأسره ـ لانها كما اسلفت، كانت أول صوت عربي، ينطلق من هيئة رسمية، ويدعو لمقاطعة الامبريالية ومقاومتها . وهي منشورة في كتابي «بين عالمين»، وفي الكتاب الذي تلطف الكاتب الكبير الاستاذ «نعمان حرب» واصدره عن حياتي ومؤلفاتي . مدّ الله في عمره ليظلّ ذخراً للادب، وفخراً له .

وقد أرسلت تلك «المذكرة» الى جميع الصحف السورية التي كانت تصدر حينذاك . . فلم تجرؤ على نشرها إلا جريدة «النصر» التي كان يصدرها «وديع صيداوي» .

وكانت جرأة لافتة للنظر . . وشجاعة تبعث على الاعجاب

والتقدير - لان الدعوة للتعاون مع السوفيات في ذلك الحين، كانت تعتبر نوعاً من الكفر.. وأي كفر!!

وهكذا كنا ننشر في صحيفته الواسعة الانتشار - وربما اكثر من أية صحيفة اخرى - مقالات جريئة.. فيتسع لها صدره وصدر صحيفته التي كانت تتخاطفها الايدي فور نزولها الى السوق.

كانت صلته بمرؤوسيه مثالية.. يعاملهم كما يعامل الاب ابناءه، والشقيق اشقاءه.

ولذلك كانوا يحبونه ويقدرونه ويوئرونه.

ويعملون في صحيفته كأنها لهم، أو كأنهم شركاء فيها.

كان من طبع «وديع صيداوي» الهدوء.. والبعد عن الصخب والقسوة. مثاليّ برقته ونعومته، وعطفه ولطفه.

واما في جريدته.. فقد كان شديداً وعنيداً - لانه كان ذا مبدأ.

يناقش ويجابه ويتحدّى.. دون ان يخشى لوم لائم أو نقمة ناقم، أو غضب مسؤول كبير.

وصاحب العقيدة الصلبة.. هو دائماً هكذا - أو هذا ما يجب أن يكونه.

ومتى انحدرت القِيَم.. حتى تصبح وسيلة للمساومة، والفرض والاتجار. تسقط قيمتها، وتنهار مكانتها، وتصبح موضع سخرية الآخرين وهزئهم.

وليست ثمّة ما يرفع من قيمة الانسان، ويعزّز سمعته وكرامته، ويصون اسمه من النيل والانحدار. سوى المحافظة على المبدأ.. وعلى الخط القويم الذي يسير عليه، والمبدأ الكريم الذي يؤمن به.

وهذا ما كانه «وديع صيداوي».

وهذا ما شُهر به، وعُرف عنه.

لقد كانت جريدته تؤيد «خالد العظم» - حينما كان يسير في الاتجاه الاشتراكي.. ولكن حينما عاد الى «اقطاعيته».. سحبت ثقتها منه، وابتعدت عنه.

وهكذا كان ذا عقيدة صافية سليمة. فاذا أحب يحب بصفاء، وبعزة واباء. واذا هاجم فبدون غاية مريبة، أو غرض أعمى.

لقد كان شريفاً بصداقته وعداوته، ونزيهاً في صلته بالآخرين، وتعامله معهم.

واعظم ما يرفع من قيمة الانسان هو هذا. واكثر ما ينال منه.. هو عكس هذا.

لقد اصبح «وديع صيداوي» في رحمة الله - رحمه الله. وانا لا اعرف احداً من ذويه الآن، وليست لي صلة مع أيّ منهم.

ولذلك.. فانه لا يستطيع احد ان يتهم هذه اليراعة بانها تجامل فيما تقوله وتكتبه عنه.

وان من الخير.. ان نقول كلمة خير - فيمن يستحقها ويستأهلها.

وإن من العقوق للادب، ورسالته الشريفة، ان لا نفعل.

ولذلك.. يخلد من يقول كلمة الحق، ويؤمن بها، ويدعو لها.. ويسير في ركابها طوال حياته.

رحم الله «وديع صيداوي» فقد كانت جريدته - النصر - سفراً نفيساً خالداً في الصحافة السورية، وفي التاريخ السوري الحديث.

وكانت من اكثر الصحف السورية رواجاً - كما ألمعت - لانها كانت تعالج الاحداث بروح حيادية.. واذا اختلفت مع خطتها ومنهجها.. فقد كانت تعارض وتهاجم - ولكن باسلوب نزيه، وجديّ ومثاليّ. ولذلك.. كانت تحوز اعجاب القارىء - فيتهافت لقراءتها، وتبنّي أفكارها.

وكنت اكتب فيها باستمرار - لانني كنت معجباً بخطتها واستقامتها.. وكثير التقدير لشمائل صاحبها، والتزامه بمنهجيته.. وبما يراه الافضل والانسب والاصح.

وحينما يدوّن التاريخ الحديث - بامانة ونزاهة وتجرد.. فانه لا بد من الرجوع اليها، والى زميلاتها: القبس، الايام، وبردى، والفيحاء، وغيرهن.. لتدوين احداث التاريخ في تلك الحقبة من الزمن التي مرّت.. والتي كانت حافلة بالاحداث الرهيبة - التي لم تحفل بأشد منها، وربما بمثلها أية حقبة اخرى.. في أي زمن آخر.

ومرة أخرى - واخريات - فاننا نشكر الاستاذ «مدحة عكاش» الذي يدأب لتخليد ذكرى زملائه، وجعلهم قدوة للآخرين، وموضع تقديرهم، والاعتزاز بهم.

هي مأثرة نبيلة من قلبه النبيل، ويراعته الخلّاقة المبدعة، والنقية الصفيّة - ومكرمة وعطاء - يضؤل أمامهما الكثير من المكارم والعطاءات.

ومرحى. ثم مرحى.

د. عبد اللطيف اليونس

«مع الرّاحلين الخالدين»

"وديع صيداوي"

وطنية - وإخلاص

الدكتور عارف تامر

د. عارف تامر



عندما تصحو النفس من رقدتها - وللنفس رقدة عميقة تنسى فيها كل ما حولها، أو ربما كلَّ ما مرَّ عليها من احداث ووقائع.

أمّا عندما تصحو هذه النفس من رقدتها، وتعود إلى واقعها وطمأنينتها، فتستيقظ الذكريات رفافة ناعمة، وفي اطلالتها صور الماضي البعيد، التي غالباً ما تكون أكثر قرباً من القلب، وأطيب نفحاً على النفس.

ان الراحلين الذين نستعيد ذكراهم الآن، ونستمطر شآبيب الرحمة على ارواحهم، ومن بينهم الصحافي الاستاذ وديع الصيداوي، ربطتنا ببعضهم اواصر صداقة حميمة، وبالبعض الآخر، وعلى بعد المسافة سبحات من التقدير والاعجاب. . . انهم القافلة الأولى من رجال هذا الوطن الذين كان لهم في الحياة اثراً ومآثراً، وفي سجل الدهر صفحات خالدة، فكثيراً ما ارسلوا اناشيد الحياة، وألحان الأمل في ربوع هذه الدنيا، ونشروا عبيرهم في كل سهل وجبل، وكرسوا انفسهم للدفاع عن قضايا بلادهم، فحياتهم كانت مجموعة من الذكاء والعبقرية، ودنيا من الخير والجمال ظلَّ عبيرها يتفوَّح، إلى ان غيّب الدهر وجوههم النضرة، وطواهم كما تطوى الصحائف المتناثرة أمام الرياح.

ان ذكراهم تعود إلى الفكر كلما غرّد بلبل على غصن، أو هبّت نسمة على منحنى، هذا ويقتضيني الوفاء ان أقول عنهم انهم النخبة المتميزة من رجال صحافتنا السورية الذين صالوا وجالوا على مسرح هذا الوطن، وقدموا انفسهم لتكون شعلة تنير وطنهم، دون ان يكون لهم حظ وافر من هذا المجتمع الذي عقّهم، ولم يمنحهم ما يستحقون من تكريم وتقدير في حياتهم وبعد موتهم. . . ولكنها العبقرية التي كثيراً ما تزرع حولها الغيرة والحسن والنكران.

أجل. . . ان ذكرياتي عن هؤلاء الراحلين الذين غيّبهم الموت، وبينهم «وديع الصيداويَ» سوف تبقى في ضميري شعلة تنير سبيلي عندما تهاجمني جيوش الظلام الدامس. فنحن كنا وما زلنا كالريشة في ايدي الدهر تتلاعب بنا الرياح، وتقذفنا إلى النهاية خاشعين حائرين لا ندري كيف نتحاشى هذه القوة الفعّالة التي تتخطفنا واحداً اثر الآخر، ثم تلقى بنا في أعماق الأرض طعاماً للغناء الابدي.

نرحل عن هذه الدنيا دون صدى أو ضجيج، ونذهب غير

مختارين من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، فظهورنا على وجه هذا الكوكب يشبه الحباب الذي يظهر على مياه شواطيء الايام، ثم ينطفيء ويختفي في حلقات الدهور. فما اجدرنا ان نقف منتظرين دورنا تاركين بعدنا الذكريات والتاريخ يردد عن لساننا قول الشاعر العربي:

«وما نحنُ إلّا مثلهم غير اننا
أقمنا طويلاً بعدهم وتقدموا

بالامس ودعنا نجيب الريس ونصوح بابيل وقبلهما يوسف العيسى ومعروف الارناؤوط، ووجيه الحفّار وسعيد التلاوي، وبقية الرعيل... فما وفينا لأحد منهم حقه، ولا اعطيناه مستحقه، فهذه القافلة من حملة الاقلام الذين كتبوا تاريخ استقلال هذا الوطن بدمهم ودموعهم جديرين بان يكون لهم صور في صفحات القلوب، وتماثيل في شوارع الدهور.

واليوم يقتضينا الوفاء ان نضع على قائمة هذا الرعيل وجهاً جديداً، وركناً اصيلاً هو وديع الصيداوي صاحب جريدة «النصر» السورية.

في الحقيقة لم اجتمع به إلّا مرة واحدة، في أحد مقاهي شارع الحمراء في بيروت عام ١٩٨٤، ومنذ اللقاء الأول شعرت بانه قريب مني بافكاره وتطلعاته، على ان كل هذا لا يمنعني من القول باني قرأت له كل ما كتبه على صفحات جريدة النصر، ولا أبالغ اذا قلت بان وديع الصيداوي كان صحافياً مثقفاً، بعيد النظر، واسع الاطلاع، عالي الخلق، ممتليء بالحياة والوطنية... في تفكيره رزانة، وفي سلوكه ليونة، وفي وطنيته اخلاص.

أما جريدته «النصر» فكانت تسير في طليعة الصحف السورية والعربية، وقلّما نجد في سوريا ما يفوقها تنسيقاً ومادة واخراجا.

وكان مكتبه كما حدثونا، ندوة ادبية يجتمع فيه رجال الأدب والصحافة حيث يجدون كل متعة وترحيب وايناس.

وديع صيداوي... كان نجماً اجتماعياً معروفاً في الاوساط الاجتماعية والوطنية العربية - باستقامته ووطنيته وادبه العريق وقلمه المعتدل الذي قارع الاستعمار ووقف يسد عليه منافذ الافلات باسلوبه السلس الناعم. والحقيقة:

فان القلم يقف عاجزاً عن ايفائه حقه، واللسان يقصر عن الكلام أمام الأدب الرفيع - والخلق القويم.

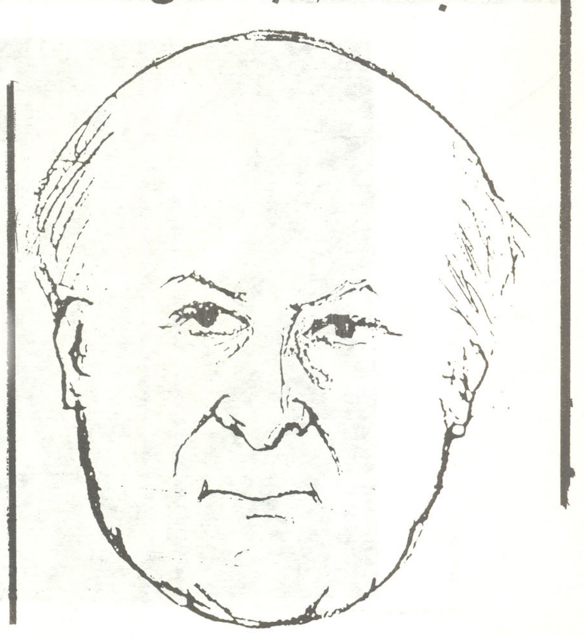
في خاتمة المطاف:

لا يسعني إلّا الوقوف جنباً إلى جنب مع افراد اسرته الكريمة، نستعيد الصفحات والذكريات، ونستمطر شآبيب الرحمة على الفقيد الراحل، ومن سبقوه الذين كتبوا تاريخ هذا الوطن الغالي.



غابَ الأستاذ المرحوم وديع صيداوي

بقلم الأستاذ
نجاة قصاب حسن



ربما كانت الصحافة أبرز ظاهرة ايجابية في حياة البشر في القرن العشرين. فقد كانت وسيلة الاعلام الواسع، والعامل على جمع الكلمة وحشد الرأي العام حول اهداف محددة، كما كانت سبيل الثقافة الشمولية. وحين نراقب احداث العالم في المقطع القريب والمنظور من التاريخ الانساني ونرى ما فعله الصحفيون المغامرون الابطال من أجل نشر الحقائق وكم منهم من قضى نحبه في مغامرات تمثل فروسية الجنس البشري، لا نملك إلا ان نخشع أمام مجد الصحافة والاعلام، أقوى السلطات الانسانية الآن والمصدر الدائم لخوف الطغاة وخدمة قضية الحرية.

وكانت الصحافة السورية في ايام الانتداب في مستوى ما يرتقب منها، وكانت الصحف اقساماً ثلاثة: فبعضها كان إعلاماً هادئاً وحسب، وله مزية المصداقية، وبعضها كان وطنياً ناشطاً ينفخ النار في ثورة الجماهير من أجل الحرية وله مزية التحريض، ولم تخَل الصحافة من جانب يمالىء السلطة ويعيش على فتات موائدها. واستطيع القول الآن، وعلى بعد كافٍ من الاحداث زمناً واستقلالاً، ان هذه الاصناف الثلاثة أفادت، وان الصحف المأجورة كانت تفيد في اطلاع الناس على عقل الحاكم وبذلك يستطيعون الاحتياط ورسم خطط المناهضة.

والصحفيون في سورية قدموا للتاريخ اسماء لامعة، نذكرها اليوم ولو كانت الآراء اختلفت حولها فيما مضى، ونقرر ان كل واحد من اصحابها قام بجزء من العمل في بناء الصرح العظيم الذي يمثله التاريخ السياسي. ان محمد كرد علي ونجيب الريس ومعروف الارناؤط وتوفيق جان ونصوح بابيل ويوسف العيسى وسعيد التلاوي ووجيه الحفار ووديع الصيداوي ملأوا الساحة السياسية والصحفية خلال ربع قرن وأكثر، وهم الذين ربّوا الجيل الثاني من

الصحفيين الذين كنت بينهم، فأنا ولو لم أعش من الصحافة وحدها فقد أكون مثل أكثر المحترفين التزاماً بالمتابعة وبالكتابة وقد بدأت عملي اليومي فيها منذ عام ١٩٣٧. ولعلي اكون - بسبب العمر وطول المدة - صاحب مجموعة من المقالات تزيد على ما كتبه الكثيرون، ولكن الكم وحده لا يكفي.

ولذلك، فمن موقعي هذا من الصحافة، وقد بدأت صحبتنا في أواخر الثلاثينات أي أربت على خمسين سنة متواصلة، استطيع ان أقول إن فقيدنا وديع الصيداوي كان آخر السلسلة الجليلة من الصحفيين القدامى، من المعلمين الذين يعرفون قيمة الحرف وقد امتزجت في أجسادهم كميات متساوية من الدم والحبر. ان وديع الصيداوي كان ظاهرة صحفية مستقلة، وكان الخبر عنده - وهو اساس كل اعلام - يأتي قبل الرأي. بل كان الخبر هو الرأي، لأنك سواء أعطيته موجهاً أو بلا توجيه، فالناس الاذكياء - ونحن شعب دكي - يجدون طريقهم مستقلين، فلماذا اذن نحاول دفعهم في طريق نعرف انهم لن يختاروها إلا بحرية؟

وحين انتقلت بلادنا إلى مرحلة جديدة من الصحافة وآن للجيل القديم ان يسلم المقاليد إلى سواه، مضى وديع الصيداوي حاملاً معه سمعة غنية بالتجارب وسجلاً حافلاً بالعلاقات وبالمعلومات، وعاش بعيداً عنا. حرمنا من لقائه والانس به ولكن أخباره كانت على الدوام في مثل صورته الانسانية وتاريخه الطويل، صورة هادئة ناعمة.

لست أشك في ان وديع الصيداوي كتب مذكراته، ومثله ممن رأوا وسمعوا واطلعوا ترتقب منهم حكايات التاريخ، فان كان فعل فما أشد شوقي إلى ان أعود أنا وكل اجيال الصحفيين والكتّاب القدامى، إلى صحبته، وان اقرأ صفحاته في تصوره من جديد وهو بيننا بابتسامته اللطيفة وعمقه الشفاف.

رحم الله وديع الصيداوي، فقد كان صحفياً مكتملاً، أي واحداً من صانعي التاريخ.

نجاة قصاب حسن



ـ الفقيد

ـع الصّيداوي

ـعر الأستاذ

ـر الجنْدي

هَدْ هَدْ جراحي يا وَديعُ . . . واسْمَعْ ، فأنْتَ لنا سَميعُ .

وامْسَحْ دُموعَ مُشرّدٍ . . . دامٍ ، وجَهْشَتُهُ دُموعُ .

شَهَقَتْ لغَيْبَتِكَ القُلوبُ شَجيَّةً ، وبَكتْ رُبوعُ .

وتَنهّدَ النسْرينُ مَجْروحاً ، وفارَقَهُ الهُجوعُ .

وعلامَ أنْتَ مُضيَّعُ . . . والحرُّ مثْلُكَ لا يَضيعُ .

أَتُراكَ وَدّعْتَ الديارَ ، وفي الفُؤادِ أسىً مُريعُ .

لا تَسْتَريحُ ، ولا تنامُ ، ولا يَهُشُّ لكَ الرّبيعُ .

واللّيْثُ يَمْنَعُهُ الحَياءُ عن الأنينِ ، وقد يَجوعُ .

. . .

أَوديعُ نحنُ الخالدونَ ، وكُلُّهُمْ أبداً خُنوعُ .

نَشْدو فيلْتَفِتُ الزّمانُ ، ولاتُباعُ ، ولا نَبيعُ .

ويُثَرثِرونَ ، ويَشْتُمونَ ، ومَوْتُهُمْ مَوتٌ سَريعُ .

. . .

قُلْ لي ، وقَلْبُكَ في ضَريحِكَ من أذىٰ الدُنيا صَريعُ .

أَنسيتَ أنَّ الكوْنَ مَهْزلَةٌ ، ومُعْتَرَكٌ مَضيعُ .

شبعَ القَواةُ الطامعونَ ، وعَبِّ خَمْرَتَهُ الخَليعُ .

وبَقيتَ وَحْدَكَ للسَراب ، وماتَ في الدَرْب القَطيعُ .

لكَ من عيوني دَمْعَةٌ . . . حرىّ ، وحَيّتكَ الضُلوعُ .

فأنا ، وأنْتَ ضَحيّةٌ . . . ذَهَبتْ ، وليْس لها رجُوعُ .



في رحيل وديع صيداوي

«صاحب النصر»

بقلم الأستاذ: عيسى فتوح

كان الصحفي وديع صيداوي (١٩٠٨ - ١٩٨٩) آخر رجال الرعيل الاول الذين خسرتهم الصحافة السورية بعد معروف الأرناؤوط، ونجيب الريس، وحبيب كحاله، ويوسف العيسى، وعزة حصرية، وعباس الحامض ونصوح بابيل وغيرهم ممن لعبوا دوراً بارزاً ومؤثراً في الحياة الأدبية والسياسية في سورية منذ العشرينات من هذا القرن، من خلال صحف: فتى العرب، والقبس، والمضحك المبكي، وألب باء، والعلم، والايام، والنصر... التي كانوا يصدرونها، ويتخذون من صفحاتها منبراً حراً لمحاربة الاستعمار وفضح مساوىء الانتداب الفرنسي الذي ران على سورية بظله الثقيل حوالي ربع قرن، ويعالجون بأقلامهم الجريئة فساد أنظمة الحكم والسياسات المنحرفة، والخطر الصهيوني الذي أخذ يلوح في الأفق منذ أن هبت على سورية أول نسمة من نسيمات الحرية والاستقلال.

***

ولد وديع صيداوي في دمشق عام ١٩٠٨، وتلقى علومه الابتدائية والاعدادية والثانوية في الجامعة الاميركية في بيروت، والعالية في معهد الحقوق العربي بدمشق، وبعد ان مارس المحاماة مدة سنتين، امتهن الصحافة، فحرر في جريدة الف باء ليوسف العيسى، ثم أصبح رئيساً لتحريرها حتى عام ١٩٤٣ حين حصل على امتياز لاصدار جريدة «النصر» الخاصة به فصدر العدد الأول منها في الخامس من تشرين الأول عام ١٩٤٣ في أربع صفحات من القطع المتوسط، وهي جريدة يومية قومية سياسية جامعة.

تحدث الصيداوي في افتتاحية العدد الأول عن الظروف التي دفعته إلى تأسيس الجريدة وعن رسالتها والخطة التي ستسير عليها. وحين وقع انقلاب حسني الزعيم لم تعطل الجريدة، بل استمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٢ حين اندمجت في جريدة «الأخبار»

وصدرت عنهما صحيفة جديدة دعيت «النصر الجديد»، غير ان هذه لم تعمر طويلاً، فعادت كل من الصحيفتين إلى سابق عهدها.

وفي عام ١٩٥٨ لم يتنازل وديع صيداوي عن امتياز جريدته، وانما استمر في اصدارها على مسؤوليته حتى توقفت نهائياً عام ١٩٦٣ بعد أن عاشت حوالي عشرين عاماً، وكان من أبرز محرريها الزميلان أحمد شكري وجان الكسان.

تعرضت النصر خلال سنوات الحرب والاستقلال الأولى إلى فترات محدودة من التعطيل المؤقت، بسبب بعض المقالات التي كانت تكتبها أو الاخبار التي تنشرها، غير أنها لم تتعرض لتعطيل طويل الأجل أو للاضطهاد الشديد كبعض الصحف المعارضة.

ظهرت النصر منذ عددها الأول يومية سياسية مصورة وفي أربع صفحات، وظلت كذلك طوال الأربعينات وبعض الخمسينات، وكانت في هذه الفترة تحتوي على زاوية في الصفحة الأولى بعنوان «ورود وأشواك» وأخرى بعنوان «كل يوم كلمة صغيرة» يحررها علي الطنطاوي، أما صفحتها الثانية فكانت مخصصة لأخبار العاصمة والملحقات، إلا أنها خلال السنوات الأخيرة زادت عدد صفحاتها إلى ثماني صفحات، ونوعت موضوعاتها من مقالة افتتاحية تحمل عنواناً ثابتاً هو «قضية الساعة»، إلى تحقيق صحفي، إلى الأخبار الداخلية، إلى زوايا عدة تتوزعها صفحاتها الأولى والأخيرة، ومن هذه الزوايا «أخبار وأسرار» و «في الصميم»، وهناك صفحة للفكر أو الأدب أحياناً، وأخرى تتناول موضوعات اجتماعية أو اقتصادية . . .

كانت النصر جريدة اخبارية بحتة اكثر منها جريدة معارضة أو ملتزمة ذات رسالة، ومن هنا نقدر السبب في قلة افتتاحياتها، وهي - إن وجدت - تتناول أموراً خارجية أو محلية إصلاحية، معظمها يدور حول الاقتصاد والعمران والاجتماع، وتتسم بالرفق واللين، وتبتعد قدر الامكان عن سياسة العنف والتنديد والمهاجمة، وعن الخط الذي تنتهجه الصحف المعارضة، وعذرها في ذلك أنها صحيفة مستقلة محايدة، ولعل هذه السياسة القائمة على الحياد، والاقتصار على سرد الأخبار هي التي ساعدتها على الاستمرار وكسب ثقة شركات الاعلان وتسقط الأخبار السريعة الطازجة في حينها قبل غيرها من الصحف كما يعترف الصيداوي نفسه بذلك للأستاذ جوزيف الياس مؤلف كتاب «الصحافة السورية في مئة عام ١٨٦٥ - ١٩٦٥» ص ٤٨٩.

استمر المرحوم وديع صيداوي على رأس جريدته صاحب امتياز ومديراً مسؤولاً ورئيس تحرير بضع سنوات، ثم اكتفى باعباء الادارة، إلى جانب كونه صاحب الامتياز، وسلم الاستاذ أحمد شكري رئاسة التحرير حتى آخر أيام هذه الجريدة، ومن الذين تسلموا رئاسة تحريرها أيضاً زهير الكزبري وأحمد عسّه وزهدي النشاشيبي، بالاضافة إلى عدد من الصحافيين الذي كانوا يكتبون فيها المقالات، ويسهمون اسهاماً كبيراً في تحريرها واخراجها، واذكر انني كتبت فيها سلسلة من المقالات حول الموشحات الأندلسية في الستينات، وكنت يومئذٍ في السنة الأخيرة بكلية الآداب.

كانت جريدة النصر اخبارية قبل كل شيء، مستقلة ومحايدة، وقد استطاعت أن تؤكد وجودها في عالم الصحافة السورية، وأن تصبح في سنيها الأخيرة واحدة من كبريات الصحف السورية، وبعد توقفها عام ١٩٦٣ غادر صاحبها الوطن وعاش في لندن إلى أن وافته المنية في الأول من آذار ١٩٨٩ عن واحد وثمانين عاماً، وقد أوصى أن يدفن في مسقط رأسه بدمشق، وفعلاً نقل جثمانه إليها في الخامس من آذار، وشيع في موكب حافل اشترك فيه المئات من رجال الأدب والصحافة والمجتمع، رحمه الله.

عيسى فتوح

رحيـل
وديع صيداوي

الصّحفي
و
المعلّم
و
المؤسّس

بقلم الأستاذ
حسان الكاتب



● حين تشدّني الذكريات وواجبات الاخوة والصداقة والمعرفة كي اكتب عن راحل جديد ممن ودعوا هذه الحياة وتركوا آثاراً تشهد لهم في احدى الميادين البارزة في الادب أو الفن أو الشعر أو العلم أو البحث أو الصحافة أو أي ميدان يمت الى ما ذكرت. . اذكر شريطاً طويلاً. . من المعارف والاصدقاء الاعلام الذين ودّعوا هذه الحياة الفانية. . كي ينتظرونا هناك. . في دار الخلود. وان واجبات العرفان بالجميل تفرض علي ان اذكرهم في كل مناسبة من مناسبات الوداع أو التأبين. . الخ.

وهم احمد الصافي النجفي، احمد عبيد، احمد مظهر العظمة، البير اديب، جعفر الخليلي، جورج صيدح، جورج كعدي، حسني سبح، خالد معاذ، خليل هنداوي، خير الدين الزركلي، رشيد سليم الخوري، زكي المحاسني، شكرالله الجر، شكري فيصل، عبد القادر عياش، عجاج نويهض، عدنان مردم بك، علي خلقي، عمر رضا كحالة، عيسى الناعوري، فؤاد صيداوي، فيليب لطفالله، لؤي كيالي، محمد أحمد دهمان، محمد سليم الزركلي، محمد عبد الغني حسن، محمد العدناني، محمد النجار، ميخائيل الله ويردي، ميخائيل نعيمة، ميشيل خوري، نزار الزين، نسيب النشاوي، نصوح بابيل، وجيه وهبه الخوري، وديع صيداوي، يعقوب الثالث (ماراغنا طيوس).

رحمهم الله أجمعين وأجزل لهم المثوبة واسكنهم فسيح جناته لما قدموه من العلم والادب والفن والاعمال الجليلة، للامة العربية خلال حياتهم الحافلة بالمآثر.

● واليوم وانا اكتب عن الصحفي والمعلم والمؤسس الراحل «وديع صيداوي» اذكر ذلك الشريط الحياتي الذي مرّ به خلال الفترة من تاريخ ولادته في دمشق عام /١٩٠٨/ حتى رحيله عن هذه الحياة في لندن عام /١٩٨٩/. فهو آخر الذين ودعوا هذه الحياة من الرعيل الاول الذين خسرتهم الصحافة العربية السورية بعد معروف الارناؤوط ونجيب الريس، وحبيب كحالة، ويوسف العيسى، وعزة حصرية، وعباس الحامض، ونصوح بابيل وامثالهم ممن كان لهم الدور البارز في المجالات الفكرية والسياسية في بلدنا منذ مطالع هذا

كان الشريط الحياتي يبدأ بتلقيه العلوم الابتدائية والاعدادية والثانوية في الجامعة الامريكية في بيروت . . وفي دمشق نال شهادة الحقوق وبعد جولة في المحاماة لم تدم الا عامين امتهن بعدها الصحافة.

بدأ حياته الصحفية في جريدة الف باء حتى اصبح رئيساً لتحريرها اصدر بعدها صحيفة النصر في ٥/ ١٠/ ١٩٤٣ واستمرت الصحيفة حتى عام /١٩٥٢/ حيث اندمجت في جريدة الاخبار فأصبح اسمها «النصر الجديد» إلا ان هذا الدمج لم يستمر فعادت كل من الصحيفتين لوضعها السابق. واستمرت النصر في الصدور حتى توقفت نهائياً عام ١٩٦٣ .

كان وديع صيداوي خلال مسيرة صحيفته النصر المعلم والموجه والمؤسس لهذه الصحيفة حيث خرّج جيلاً كبيراً من الصحفيين خلال عشرين عاماً ترى منهم اليوم مجموعة لامعة ممن وضعوا معالم صحف وصحافة جديدة معاصرة في قطرنا.

وكانت صحيفة النصر المنبر الاعلامي البارز خلال حياتها الصحفية . . كانت معلّماً لا يستهان به . . لقد كانت صحيفة النصر جريدتي المفضلة منذ /١٩٥٤/ وحتى احتجابها عام /١٩٦٣/ . وقد كنت من المعجبين في افتتاحية كل عدد من اعداد هذه الجريدة التي كانت تحمل توقيع رئيس التحرير وديع صيداوي . لقد كنت اشعر بفراغ كبير حين تتوقف هذه الصحيفة عن الصدور لانني كنت اجد فيها زوايا هامة فهي تتصف بين مثيلاتها من الصحف بالسبق الصحفي في كل خبر تنشره في المجال الداخلي على مستوى القطر العربي السوري ام على مستوى الوطن العربي . . ولقد سعدت جداً بما نشرته لي في مجال الادب . .

لقد كنت اتابع زواياها المتميزة . . كالاخبار المحلية، الافتتاحية، كل يوم كلمة صغيرة، قضية الساعة، «ورود واشواك» التحقيق الصحفي، اخبار واسرار، «في الصميم» صفحة الفكر والادب . . الى جانب المواضيع المختلفة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية . الخ . وقد اتصفت صحيفة النصر من بين الصحف آنذاك بحيادتها وهذا ما اتاح لها العمر الطويل في الصدور.

لقد كانت النصر متميزة بين الصحف . . وكان صاحبها وديع صيداوي وراء هذا النجاح الكبير الذي احرزته وبعد ان توقفت هذه الصحيفة . . غادر صاحبها البلاد ليقيم في لبنان ثم في لندن حتى وفاته فيها عام ١٩٨٩ إلا ان جثمانه نقل الى دمشق حسب وصيته ليدفن في مسقط رأسه رحمه الله.

ولقد كان من الادباء والصحفيين اللامعين ايضاً في قطرنا العربي السوري ـ «معروف الارناؤوط ١٨٩٢ ـ ١٩٤٨» الذي اصدر عام /١٩١٨/ جريدة «الاستقلال العربي» بالاشتراك مع عثمان قاسم ورشدي ملحس وفي /١٩١٩/ أسس مجلة ادبية باسم «العلم العربي» وفي عام /١٩٢٠/ اصدر جريدة «فتى العرب» التي استمرت في الصدور مدة ربع قرن وقد ظل يحررها ويكتب مقالها الافتتاحي الى آخر يوم في حياته . وقد كان للمقال الرئيسي الذي يكتبه صداه القوي في نفوس الساسة والادباء معاً، لانه كان يصوغ افكاره بقوالب ادبية ساحرة غاية في الجزالة والايقاع الموسيقي . مع انه كان ينهج في سياسة جريدته نهجاً حراً يخالف أحياناً الساسة، ومع ذلك فقد كانوا يجمعون على تقديره وحبه واكبار ادبه لايمانهم باخلاصه للقضية العربية ولكل ما يتصل بتاريخ العرب.

وقد كان الى جانب عمله الصحفي يغذي جريدته بالدراسات والبحوث ويكتب الفصول الادبية والبحوث التاريخية، ويترجم المقالات السياسية عن الافرنسية وظل سنوات يتولى تحرير الجريدة كلها.

ومع شواغل الصحافة المتعبة المرهقة فقد انصرف الى التأليف الروائي الذي بدأ به حياته الادبية والذي توجه بروايته الرائعة «سيد قريش» في اجزائها الثلاثة التي قاربت صفحاتها الالف والتي كان لصدورها دوي كبير في عالم الادب والتي كافأه المجمع العلمي العربي عليها بانتخابه عضواً فيه عام /١٩٣٠/ واصدر عام /١٩٣٦/ رواية كبيرة اخرى عن «عمر بن الخطاب» في اربعة اجزاء تناولت باسلوب روائي شائق حياة العرب الاجتماعية والسياسية وكفاحهم ومن المؤسف ان لا يصدر منها غير جزأين في سبعمائة صفحة وفي /١٩٤١/ اصدر رواية عن «طارق بن زياد» ورواية رابعة عن «فاطمة البتول» الى ان هده المرض فتوقف عن نتاجه وهو في اكتمال كهولته . . حتى وافاه الاجل في ٣٠/ ١١/ ١٩٤٨ .

● وانا اتحدث عن الراحلين من الاخوة الصحفيين الكرام اذكر الاديب الراحل الكبير احمد مظهر العظمة (١٩٠٩ ـ ١٩٨٢) الذي جمع من الادب والشعر والوزارة واصدار المؤلفات وكتابة الخطوط الفنية الكوفية والزخارف العربية

ورئيس تحرير مجلة التمدن الاسلامي منذ تأسيسها عام /١٩٣٣/ حتى وفاته رحمه الله في كانون الاول ١٩٨٢.

ومازلت اذكر ابياته الشعرية التي اهداني اياها بمناسبة عيد الفطر السعيد في ٣/ ١٠/ ١٣٩٥ هـ الموافق ٧/ ١٠/ ١٩٧٥ حيث قال:

حسّان دمت موفّقاً مسروراً
وربّاك تحكي جنّة وحريراً
ألفت من كتب المعارف زمرة
تاهت على زهر الربيع عطوراً
فاهنأ بعيدك بعد جدٍّ دائبٍ
تملي على القلم الخصيب سطوراً

● كما اذكر هنا الصحفي اللامع حبيب كحالة صاحب مجلة المضحك المبكي (١٨٩٨ - ١٩٦٥) الذي مارس الصحافة وأسس عام /١٩١٩/ صحيفة «سورية الجديدة» حتى عام /١٩٢٨/ وابدلها بمجلة «المضحك المبكي» (١٩١٨ - ١٩٦٥) والتي تابع اصدارها ابنه الصحفي سمير كحالة حتى ٢٩/ ٥/ ١٩٦٦ وكان يصدر بالاضافة الى المضحك المبكي مجلة باسم «المصور» (١٩٣٦ - ١٩٤٣) واصدر جريدة يومية باسم دمشق (١٩٤٧ - ١٩٤٨) وفي /١٩٢٢/ انتخب نائباً عن دمشق وكان عضواً في مجلس الاتحاد المؤلف آنذاك من ١٥عضواً يمثلون جميع الانحاء السورية وفي /١٩٤٧/ انتخب نائباً عن دمشق في المجلس النيابي وانتسب الى الحزب الوطني.

لقد كانت مجلته المضحك المبكي ساخرة انتقادية جريئة باللهجة العامية الدمشقية وكانت تنشر رسوماً كاريكاتورية انتشرت بشكل واسع.

● واذكر هنا صاحب جريدة الايام الاستاذ نصوح بابيل رحمه الله الذي ولد في دمشق عام /١٩٠٥/ ومارس الطباعة والصحافة معاً حتى تدرج في المواقع الصحفية المختلفة فأصبح نقيباً للصحفيين والذي مثل الصحافة السورية في كثير من الوفود الصحفية الى البلاد العربية والاجنبية.

● وحين اذكر «نصوح بابيل» اذكر بشير كعدان (١٩١٣ - ١٩٨٠) رئيس تحرير النصر وصاحب جريدة الجمهور التي صدرت يومية سياسية (١٩٥٤ - ١٩٥٨) ثم مدرساً للمركز الثقافي في حلب ومستشار صحفي لرئيس مجلس الوزراء، ومستشار لرئيس الدولة ثم أخيراً كان صاحب جريدة الوحدة، رحمه الله الاستاذ كعدان وغيره من الاخوة الصحفيين الراحلين واسكنهم فسيح الجنان مع الخالدين.

● واخيراً لا بد لي ان اذكر هنا صديقي الراحل الصحفي «عزة حصرية» الذي اصدر لي الجزء الاول من الموسوعة الموجزة بتاريخ ١١/ ٣/ ١٩٧٠ في مطبعته العلم.

لقد امتدت حياته الغالية (١٩١٤ - ١٩٧٥) حيث كانت ولادته في دمشق وساهم في الثورة السورية عام /١٩٢٥/ عندما كان طفلاً حيث كان يشارك في المظاهرات مع اترابه من الطلاب في مدرسة الملك الظاهر وكان ينقل الادوية الى الثوار. وبدأ حياته الصحفية عام /١٩٣٢/ حيث عمل كمحرر في جريدة البعث الدمشقية ومن ثم رئيساً لتحريرها ثم اصبح رئيساً للتحرير في جريدة الاستقلال العربي ثم صاحباً لامتيازها وساهم بشكل اساسي بوضع حجر الاساس للاتحاد العام لنقابات العمال ومن ثم اصبح عضواً في مكتب الاتحاد ثم استقال فانتخب عضو شرف في الاتحاد وكان ذلك عام /١٩٤٨/. وساهم في عام /١٩٣٦/ بنقض معاهدة /١٩٣٦/ وهاجم السلطات الفرنسية واغلقت جريدته فأصدر جريدة «الاستفهام» السرية التي كان يطبعها وينشرها بشكل سري لتحريض الشعب على الثورة ضد الانتداب الفرنسي الغاشم.

وفي عام /١٩٤٦/ اصدر «صحيفة العلم» واصدر عام /١٩٤٥/ مجلة «انوار» بمساعدة الاستاذ احمد طلس وكانت مجلة فكرية سياسية ادبية جامعة. كما اصدر مجموعة مؤلفات بين (١٩٥٥ - ١٩٧٥) نذكر منها «تاريخ الحركة العمالية في سورية» و«اضواء على الاحداث» و«حقائق عن فلسطين» و«الاعلاق في مكارم الاخلاق» و«روح القدس في محاسبة النفس» و«حياة الصحابة» وكنيبات عن السيرة النبوية وشروح رسالة «الشيخ ارسلان».. وكانت حياته حافلة بالمآثر والاعمال حتى توفي في ٢٤/ ١١/ ١٩٧٥ رحمه الله واجزل له المثوبة.

دمشق

حسان بدر الدين الكاتب

صاحب الموسوعة الموجزة

وهوى كما يهوي الشهاب

شعر

الأستاذ فؤاد أحوش

يقفُ المرءُ خاشعاً حين يرثى ... مَنْ له في القلوب أسمى مكان
يا وديعاً بخلقك الحلو إني ... أقفُ الآن وقفة الحيران
كيف أرثيك يا شعاعاً تبدّى ... في ضميري ومهجتي وجَناني
لستُ أرثيك بالدموع لأني ... لا أُجيدُ البكاء في الأحزان
سوف أرثيك بالبيان فصيحاً ... ليس فيه سوى جليل المعاني
مُتَّ جسماً فعشتَ روحاً تقيّاً ... ليس يفنى والروح ليس بفان
يعبر المرء عالماً ثم يمضي ... من مصيرٍ إلى مصيرٍ ثانِ
كلُّ حيٍّ يحيا بدون يراعٍ ... هو ميتٌ بقلبه واللسان
خالدٌ مَنْ أنار درباً وأغنى ... بشذاه شقائق النعمان
مَنْ تهادى بفكره كشهاب ... شعَّ نوراً على ذرى الأوطان
قِمَّة النبل عشتها فاستنارتْ ... بسجاياك صحوةُ الوجدان
إنْ بكاك الوفا فليس غريباً ... كنتَ نبع الوفا وفيض الحنان
كنتَ دفقاً من العطاء سخيّاً ... وبريقاً يشعُّ مثل الجمان
نفحة من عبيرك العذب هبَّتْ ... تحمل الطيب للعيون الرواني
للحكايا.. لكلِّ روضٍ ظليلٍ ... للمروءات.. للهوى العذيان
لأنين المياه في هدأة الليل.. لغصن من روحنا فينان
ألف عُذرٍ إنْ لم يكنْ في رثائي ... ما يُوفّي بالشكر والعرفان
نمْ قرير العينين إنك باقٍ ... في رؤى المجد.. في ضمير الزمان

ذكريات عن أحد عمالقة الصحافة في الأربعينات

بقلم الاستاذ كرم قنصل

الاستاذ كرم قنصل

انه الاستاذ المرحوم وديع صيداوي صاحب ـ النصر ـ الدمشقية. فقد تعرفت عليه ابان الحرب العالمية الثانية. كنت في حوالي الرابعة عشرة من العمر عندما قدمت الى دمشق لاول مرة برفقة شقيقي الذي كان يراسل الجريدة ويغطي اخبار يبرود وانقلمون.

وهناك قابلت الاستاذ وديع صيدواي في ادارة الجريدة بمنطقة السنجقدار بالقرب من ساحة المرجة ونزلة الدرويشية حيث كان يمرّ تراموای الميدان. لاول مرة قابلت هذا الرجل الذائع الصيت صاحب الافتتاحيات المدوية النارية التي كانت تلهب الحماس بين الجماهير وبالوقت ذاته تقض مضاجع المستعمر الفرنسي. فالاستاذ صيداوي لم يكن يعرف المهادنة أو اللين في كتاباته تجاه أية قضية تمت الى الوطن والوطنية بصلة مهما كانت بعيدة.

فيخاله القارىء رجلاً فظاً مشاكساً. وهذه طبعاً فكرة خاطئة عنه وعن شخصيته إذ كان رجلاً لطيفاً للغاية ويتمتع بأخلاق عالية وأدب جم يأسر محدثه بلباقته وحسن معشره. متواضعاً لابعد الحدود. ولكنه كما قلنا فيما يخص القضايا الوطنية لا مهادنة عنده فيستل قلمه على الفور ليقوم الاعوجاج.

لذلك كانت جريدته حرباً مستمراً على المستعمر لا تهادنه ولا بشكل من الاشكال. وكثيراً ما كانت تصدر الجريدة وفيها اكثر من عمود ابيض بفعل الرقابة الظالمة آنذاك حتى بات هذا الاجراء امراً مألوفاً في جريدة النصر. وفي كثير من الايام كانت تحتجب ليوم أو يومين بأمر من تلك السلطة.

ولكن قلم الرقابة لم يفت في عرض صاحب النصر فيتابع اصدارها بعد الاحتجاب بهجوم اكثر مرارة وعنفاً. وتعود السلطة الى تعسفها. وكما اذكر فقد اصدرت امراً باغلاق الجريدة لمدة شهر بعد ان ظهر على صفحتها الاولى ما نشيت بالخط العريض يقول ـ فارس الخوري يفحم ديغول في مجلس الامن ـ.

وبعد يومين فقط صدرت النصر تحت اسم جديد وهو ـ المفيد ـ وقد كتبت كلمة ـ المفيد ـ بشكل فني رائع بحيث يقرؤها الناظر اليها لاول وهلة ـ النصر ـ فيظن انها عادت للصدور. إذ كتبت المفيد على شكل النصر تقريباً. ولما انقض الشهر عادت للصدور باسمها الاساسي.

ولما جلا المستعمر عن ارض الوطن وتسلمت السلطة حكومة وطنية عام ١٩٤٦ بقيت جريدة النصر لتلك الحكومة وما تبعها من حكومات بالمرصاد. فلا تترك هفوة تصدر عن مسؤول دون ان تشير اليها والى مرتكبها بالاسم الصريح وتحاسبه عليها دونما مواربة أو تغاضي مع العلم بأن جل المسؤولين الكبار إن لم نقل كلهم كانوا اصدقاء لوديع صيداوي فقد كانت جريدته مفتوحة الصدر ايام الاستعمار لهم ولرجال المقاومة. .

وكثيراً ما كانت جريدة النصر عندما تشن هجوماً على احد المسؤولين تتخاطفها الايدي وخلال ساعة أو أقل تنفذ من السوق فيصل ثمن النسخة الواحدة في بعض الاحيان الى ليرة سورية. وهذا ثمن فاحش إذا ما عرفنا ان ثمن الجريدة كان يومذاك فرنكاً واحداً.

كما كانت جريدة النصر تضم ايضاً علاوة على افتتاحياتها مقالات جريئة لكبار رجال القانون والادب والنقد. بالاضافة الى زاوية يومية تحت اسم - ورود وأشواك - وقد كانت هذه الزاوية محببة الى قلوب القراء لانها تنبش الخفايا وتعريها وتسلط الاضواء عليها. تماماً مثل زاوية - مباءة نحل - في جريدة الف باء لصاحبها يوسف العيسى خال الاستاذ وديع صيداوي كما اذكر. وهذه الزاوية - ورود وأشواك - كانت مهمتها الغمز واللمز من هذا المسؤول أو ذاك إذا ما استهتر بعمله. ثم لا يلبث ان يبدأ الهجوم عليه صراحة من قلم الاستاذ صيداوي اذا تمادى في استهتاره أو لامبالاته - هذه هي جريدة النصر وهذا هو خطها القومي الذي رسمه لها صاحبها. فما حادت عنه قيد شعرة طيلة مدة صدورها. وكما عايشتها أنا والكثيرين من القراء. أما أنا وبحكم مراسلتي لها فقد كنت نوعاً ما اعرف عن الاستاذ الصيداوي اكثر من غيري من القراء.

وهنا تحضرني حادثة قصيرة جرت بيني وبين الاستاذ صيداوي رحمه الله أرويها للدلالة على دماثة خلقه وسعة صدره. في احد الايام كتبت مقالاً ظننته بأنه سيحدث دوياً هائلاً اذا ما نشر في الجريدة وكنت يومها بأول عهدي بالكتابة. وبعثت بالمقالة الى النصر واخذت انتظر نشره. مضى اسبوعان والمقال لم ينشر. وبعد مضي شهر نفذ صبري واخذت الافكار والتعليلات تراودني لعدم نشره. في البدء اتهمت دائرة البريد بالتقصير بالقيام بمهامها. وطبعاً نقمت على البريد والقائمين عليه. واخيراً علمت بأن البريد بريء مما اتهمته به وإن المقال قد وصل الى الجريدة. فراودني تعليل ثان اقتنعت به مدة طويلة ويتلخص بما يلي:

المقال لم ينشر بجريدة النصر عمداً. لان وديع صيداوي يخاف اذا ما نشره ان يعجب به القراء لانه سيحدث ضجة في الاوساط السياسية والادبية على السواء. وبالتالي يتحول المعجبون بكتابات صاحب النصر الى الاعجاب بمقالي وبذلك اكون قد سلبته ومن اول مقال ينشر لي معجبيه ومن حيث لا يدري فلهذا السبب لم ينشر المقال. أما أن فكرة المقال قد تكون سخيفة وسبكه ضعيفاً فهذا لم يخطر على بال ولم اقبل به على الاطلاق.

ومضت الايام وتوطدت بيننا عرى الصداقة واصبحت النصر تنشر لي ما اكتب. وفي جلسة هادئة رويت للاستاذ الصيداوي عما راودني من افكار بشأن مقالي المذكور وعدم نشره. فأغرق بالضحك وهو يقول لي. صدقت لقد خفت من ذلك المقال جداً. لذلك لم انشره لك. فهل رأيت بعمرك شحاذاً يحب صاحب جراب؟.

رحمك الله يا ابا رجاء. لقد عشت شريفاً ومت شريفاً ولم تتخل لحظة واحدة عن حب وطنك الذي كان يسكن قلبك الكبير.

كرم قنصل

وديع صيداوي صديق الأدباء



الاستاذ اليان ديراني

بقلم الاستاذ ليان ديراني

كان هذا في اوائل الثلاثينات من هذا القرن. وكنت قد فزت في ذلك الحين بنيل القسم الثاني من شهادة النعليم الثانوي. فعيّنت معلماً في مدرسة صيدنايا الابتدائية.

كان دير صيدنايا الاثري، ذلك المزار التاريخي الديني الشهير يلفت الانتباه الى ما يحيط به من ميازيب ومجار مكشوفة، تتدلى على طول اسواره الشاهقة وتنشر في الفضاء. روائح القاذورات والاوساخ وتظل بصورة دائمة مجلبة للذباب ومرتعاً للحشرات والديدان التي تشمئز منها العيون وتعافها النفوس الامر الذي لا يتلاءم مع ما للدير وقدسيته من مكانة سامية وسمعة مهيبة. كان هذا ما دفعني الى كتابة مقال كبير استهجن فيه ما رأيت واطالب بإزالة هذه المناظر المؤذية، وأحث المسؤولين عن الدير بتحويل ما يحيط به من المزابل الى حدائق نظيفة تبهج النواظر وتنعم القلوب نشوة.

ارسلت هذا المقال آنئذٍ الى جريدة (الف باء) الواسعة الانتشار وكان الاستاذ وديع صيداوي من محرريها.

كنت اشك في نشر المقال، لما يعج به من نقد لاذع واقعي. فما كان أشدّ عجبي حين ظهرت الجريدة والمقال في صدر صفحتها الاولى. كان الاستاذ وديع شاباً متجمساً للاصلاح والبناء. تعارفنا بعد ذلك وكنت قد بدأت بنشر تراجم عن شعراء فرنسا المشهورين الرومانسيين بصورة خاصة، وحين اصدر الاستاذ صيداوي جريدة (النصر) ترك لي في احدى الصفحات مكاناً لنشر دراسة عن كل شاعر مع موجز عن حياته ونموذج من شعره. تلك كانت بدايات مازلت اذكرها بشيء كثير من المحبة والاحترام.

حقاً مازلت اعتز بذلك الانسان المحب للادب والادباء والكتابة والكتّاب في زمن كانت الساحة العلمية والادبية في بدء تكونها. لقد كان المرحوم وديع حقاً صديقاً للادباء ومحبّاً لهم ومنفتحاً على كل ما هو جديد وعصري وحديث.

رحمه الله بمقدار ما احب لهذه الامة.

دمشق

ليان ديراني


الاستاذ اسماعيل عامود

وديع صيداوي

وجريدة «النصر» وذكريات

بقلم الأستاذ: اسماعيل عامود

● في صباحات قراءاتي، وكانت خلال العام ١٩٤٤ تحديداً، اتجهتُ، كما فعل أبناء جيلي، وأبناء الجيل الذين سبقونا في المطالعة والقراءات الواعية وكان اكثرهم عصامي من الدرجات الاولى ان لم أقل أكثر. . أقول اتجهت الى الدوريات والمجلات التي كان لها صبغة أدبية في الدرجة الاولى. . كانت مجلات اسبوعية أي تصدر في الاسبوع مرة واحدة وثمة مجلات شهرية تصدر في مطلع كل شهر مرة واحدة. . مثل الاولى: الرسالة، الثقافة، من مصر. . والصباح ثم أصداء وغيرها من دمشق. . ومثل الثانية: الكتاب، الكاتب المصري من القاهرة، والاديب من بيروت والحديث من حلب والنواعير من حماه، والامل من حمص. . الخ. . وكانت هذه الدوريات وغيرها من ذات التخصّص تجذبنا بشدة إليها خصوصاً إذا كان أحدنا يهوى الادب. . وثق يا قارئي ان معظمنا كان يميل في مطالعاته الى الادب، والادب العربي بالذات. .

● كانت قراءاتي جيدة وجادة، اشتري المجلة قبل شرائي لرغيف الخبز. . كان هوس المطالعة شديداً عندي وعند غيري من أبناء جيل صباحات الاستقلال والتحرر من قيود الانتداب الفرنسي. . صحيح قد مررنا في المرحلة الابتدائية في العهد البغيض ذاك. . وفهمنا كثيراً مما كان يجري في القطر من حوادث المطالبة بالتحرر وجلاء المنتدب. . وقد مرت بنا - وأقصد بجيلي - في اوائل الاربعينات بعض الانتفاضات الشعبية الوطنية، وبعض تحركات المقاومة. . كانت الصحافة العربية في سورية تتصدى لها بالكلمة والحرف، كما تتصدى لها المجلات الادبية في لسان وكتاب وادباء البلد. . أجل، كان الموقف وقتذاك سجالاً بين المنتدب من جهة، والشعب ولسان حاله في الصحافة من جهة. . كانت الصحافة السياسية والادبية والحزبية تتضافر وتتعاون في اخراج الفرنسيين من سوريا. . وكنا لما نزل في الصفوف الاولى الثانوية - التجهيز كما كان يسمونه في مرحلة الاربعينات. . نشاهد في المكتبات جرائد ومجلات البلد معلّقة على الواجهات وقد حملت عناوين ضخمة وبالخط العريض. . بجمل وطنية مثيرة ومحفزة. . كنا نقف قبالتها ونحن طلاب لما نزل في طور الغلمنة. . هذه الجرائد وهذه المجلات اذكر منها على سبيل العرض لا الحصر: ألفباء، الايام، القبس، الشباب، التوفيق، الانشاء، الاخبار، الكفاح، الاحد، المضحك المبكي وأخيراً الدنيا للعطري، وكل جديد لوجيه بيضون. .

● كانت الصحافة وخاصة اليومية منها قبيل الجلاء لسان حال الشعب ومحطة إذاعته ومركز البث لاعلامه وقضاياه ومطالبه إذ لم تك قد انشئت محطة إذاعة خاصة لسورية، ولم يكن التلفزيون قد دخل البلاد العربية. . فإذن كانت الجرائد والمجلات هي التي تغطي أخبار العالم. . ولذا فقد اضطر جيلي كما اضطررت الى جعل القراءة الهم الاول في الحياة اليومية مع العمل طبعاً. .

قلت: كات الصحافة تشكل مركز الاعلام الاول. . وكانت اسماء تترى على أسماعنا. . أسماء لرجال الصحافة الذين كانوا بالفعل جنوداً مجهولين في دنيا [صاحبة الجلالة] الصحافة. . هؤلاء الرجال وقد نذروا حياتهم لصاحبة الجلالة وكافحوا وسجنوا واضطهدوا وخسروا أموالاً كثيرة في سبيل الاستقلال والجهاد من أجل التحرر والجلاء، جلاء المنتدبين وغيرهم من المستعمرين. . فانهم استحقوا في مراحلهم احترام الوطن والمواطنين. .

● هذا، ولما كانت الصحافة شغلنا الشاغل وجيلي في مرحلة الغلمنة واليفاعة فانني اذكر هنا لاولئك الرجال جهادهم المشكور، بل المقدس من أجل الوطن والشعب والاستقلال. فان هؤلاء قد عملوا في ميدانهم مقاتلين ضحوا بالغالي والرخيص للوطن والامة.. منهم: المرحوم نجيب الريس (صاحب جريدة القبس) المرحوم نصوح بابيل (صاحب جريدة الايام) المرحوم يوسف العيسى (صاحب جريدة الف باء وشيخ الصحافة السورية) وأمين سعيد (الكفاح) و (حبيب كحالة) ووجيه الحفار.. ووديع صيداوي - صاحب جريدة النصر. وكثير كثير من هؤلاء الصحافيين كانوا في الميدان وعلى الخط الاول في نضالهم الصحفي إبان الانتداب وفجر الاستقلال.. تحضرني الذاكرة الآن لبعض اسمائهم مثل: معروف الارناؤوط، نشأت التغلبي، عباس الحامض، سعيد الجزائري، ساطع الهبراوي، شاكر الخرده جي، منير الريس، إيليا شاغوري، سامي كبارة، سامي الشمعة، عبد الغني العطري.

● هذا، ولما كان هذا العدد من مجلة الثقافة قد خصص للصحافي المعروف المرحوم «وديع صيداوي» فانني اورد هنا بعض ما أعرف عن هذا الرجل من خلال قراءاتي لجريدته «النصر» خلال منتصف الاربعينات الى ايام قيام الوحدة بين سورية ومصر أواخر الخمسينات من هذا القرن العشرين.. وإنني وان لم أجلس الى الاستاذ صيداوي في حياته عندما كان صاحب الجريدة «النصر» ولم تك لي المعرفة الشخصية المباشرة به.. إلا انني كنت من المعجبين بأسلوب وديع صيداوي في الصحافة اليومية، فهو في «الجريدة» أستاذ ومعلّم.. وكانت سمعة الجريدة عند القراء الذين كنت أسمع تعليقاتهم وملاحظاتهم تجاه الجرائد التي كانت تصدر، كانت سمعة طيبة اذ كانوا يثقون بالخبر الذي تنشره جريدة - النصر. ولا أغالي إذا قلت: ان جريدة النصر كانت تحظى بتقديرنا وثقتنا نحن الادباء في الخمسينات إذ في هذه الفترة كان جيلي قد شبَّ عن الطوق وأخذ بأسباب الخياة العملية ونزل الى الميدان العملي، عاملاً وأديباً يجمع بين العمل والادب بين غذاء الجسد وغذاء الروح - العقل.. نعم، كانت سمعة جريدة النصر طيبة لدى الجميع، لماذا؟ لان صاحبها كان صاحب ذوق وفن في الصحافة اليومية.. ولكن كيف وصل وديع صيداوي الى هذا المستوى اللائق في دنيا الصحافة..؟ وما هي بداياته؟.. ومراحل تكوينه كصحافي..؟

● وها أنذا أبين أو أكتب عن هذا الرجل أجوبة مقتضبة ومكثفة استنتجتها من خلال قراءاتي العديدة في دوريات عديدة، ومتعددة، كان الصيداوي / وديع قد صرح بها.. انه لم يفكر في يوم بأنه سيصبح متطوعاً في جيش «صاحبة الجلالة» ولكنها الظروف الخاصة، بل هي الاقدار التي طُبقت بحقه قانون «الخدمة الالزامية» فجذبته وجعلته أحد أفراد هذا الجيش الذي ما ان امتزجت حياته بمحيطه حتى تعشقه واندمج فيه وأصبحا متزوجين زيجة نصرانية، لا طلاق فيها ولا افتراق.. ذلك لان نفسه /نفس وديع/ تهوى منذ الصغر خدمة المجموع، وقد رضع الصيداوي حب الوطن مع الحليب وبات مثله الاعلى الذي يبغيه.. ان يتاح له تقديم اقصى ما يمكن من خدمات في سبيل هذا الوطن ومجده وكرامته، فلما جُند وديع في جيش الصحافة أدرك عظم شأن الصحافة في خدمة البلاد، ورأى انها المنهل الوحيد الذي يستطيع ان يروي منه عطشه الى المساهمة في خدمة وطنه، فاندفع وديع فيها بكلتيه، وأبى عنها بديلاً حتى حين سنحت له ظروف كثيرة بان يسلك طريقاً آخر يقيلهُ من جندية صاحبة الجلالة ومشاقها، ويؤمن له الرفاهية والثروة والجاه.. [مجلة الدنيا - ١٩ آذار ١٩٤٥ - العدد الاول - السنة الاولى].

● ولما أصبح وديعاً - صحافياً معروفاً ومرموقاً بعد اجتهاد ودأبٍ وجد، وبعد أن نال الرتب العالية في الصحافة - إن صح التعبير - وبعد انشائه لجريدة «النصر» في الاربعينات ونجح نجاحاً بارعاً في جريدته.. لا بدَّ لي من ان أورد هنا بعض الاسس التي ارتكز اليها في عالم الصحافة حتى أمسى استاذ ومعلماً في هذا العالم العجيب.. المدهش.. الرائع.. فقد كان الرجل، يهتم بالخبر. فالخبر هو مادة الغذاء الرئيسة للجريدة وضمان نجاحها، ويكاد يكون عنصر المخبرين الممتازين.. ثم المطالعة المستمرة التي هي واجبة وضرورية لكل صحافي ناشيء يتوخى النجاح. فمن الضروري إذن ان يطالع الكتب والصحف والمجلات، وخلة الفضولية قد تكون مكروهة، ولكنها للصحافي ضرورية، فعليه ان يحشر أنفه في كل موضوع وكل حادث وكل مجتمع.. على الصحافي ان

يحاول الاكثار من اصدقائه، وخاصة ممن يكونون أو يمكن ان يكونوا مصادر أخبار ومعلومات، لان في ذلك عنصراً من العناصر التي تؤمن له النجاح، وعلى الصحافي الناشيء ان يحاول الاحتكاك بكل مجتمع وان يغشى النوادي الليلية ومجتمعات السَّمر والأُنس، كما يحرص على حضور الاجتماعات الثقافية والادبية، وزيارة الأسواق والجلوس في المقاهي.. فإن مخالطة سائر الطبقات من اكبر عوامل نجاح الصحافي وتقدمه، شرط ان يعرف كيف يفيد من المعلومات والاخبار والآراء التي يلتقطها.. ثم تأتي «الجرأة»، فهي صفة ضرورية لازمة للصحافي المتطلع الى النجاح، فهي التي تفتح له الابواب المغلقة وتوصله الى كبار الشخصيات وتبني له مقاماً مرموقاً يستطيع ان يستثمره في عمله الصحفي..

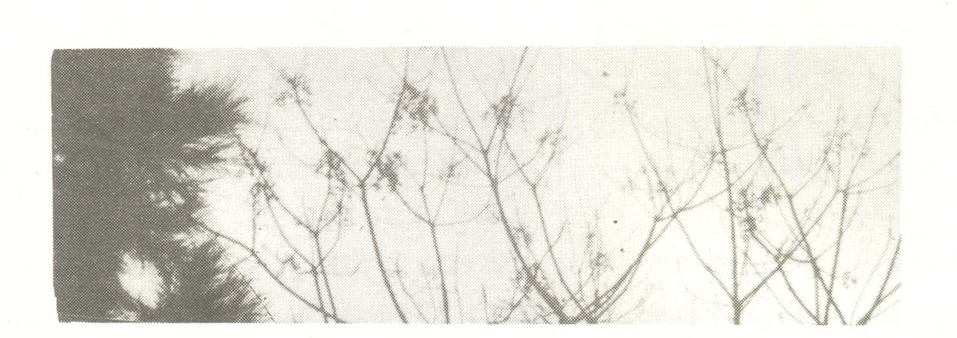
● ووديع صيداوي، ينصح الصحفي الناشيء الصروف عن الزواج المبكر، فليس أقتل لجهود الصحفي ونشاطه من «الاسر العائلي». وليس أضمنُ لنجاحه من أن يكون حراً مستطيعاً أن يكون في كل مكان يتطلب وجوده فيه، في الوقت المناسب.. ثم «الكرم». فالكرم صفة لازمة وواجبة لنجاح الصحافي كما انه من الصفات الضرورية لنجاح السياسي ولطالما قتل البخل صاحبه، وأخيراً، الدأب على العمل دون كلل ولا ملل ولا تذمر، فليس أضمن لنجاح الصحافي مثل المثابرة على العمل مهما قامت في وجهه العراقيل والمثبطات.. على أن كل هذه الخلال لا تفيد المرء شيئاً ان لم يكن «هوى الصحافة» ممتزجاً بدمه..

● هذه هي بعض الاسس التي اتخذها الاستاذ صيداوي وطبقها في عمله.. وهذه هي بعض الاسس الرئيسة التي وجهها الى كل صحفي يرغب بالنجاح.. ولقد كان مكتب «النصر» في دمشق يعتبر من أحدث المكاتب، ونظام التحرير في الجريدة، كان يختلف عن غيره من الزميلات.. كان لكل محرر عمل لا يتعداه، ولا ينتدب لمعاونة غيره في عمله، بل هو مستقل فيما أسند اليه.. وترد الاخبار من غرف المحررين والمخبرين الى الغرفة الرئيسة التي يحتلها صاحب الجريدة والذي يقوم بمهمة رئيس التحرير غالباً أو دائماً على الاصح، وهناك تنسق وتنقح، ويلغى بعضها ويغلق على البعض الآخر ثم تخرج من هذه الغرفة السحرية وقد خلقت خلقاً جديداً، لتنصهر في المطبعة أعمدة تتحول الى صفحات.. وكان الاستاذ الصيداوي يشعر أحياناً بزيادة في نشاطه، فيلاحق خبراً من الاخبار يحاول الاتصال بالعالم كله ليصل الى أدق التفاصيل، وفي تلك الليلة التي ينشط فيها الصيداوي يتعب المحررون ويتعب المخبرون، ولا ينام هو.. وفي الصباح تكتسح الجريدة السوق بما قدمته الى القراء باذلة جهد الليل الطويل.. وعدد من انتصارات صحفية من هذا النوع جعلت جريدة «النصر» في طليعة صحف الصباح مقاماً لدى القراء.. [انظر مجلة الدنيا - العدد رقم ١٣٢ - السنة الخامسة ٢ كانون الاول ١٩٤٩ - موضوع: كيف تحرر صحف دمشق].

● وبعد: هذه هي بعض نتف من الذكريات لقراءاتي الاولى في مرحلة اليفاعة دونتها هنا، وجعلتها تحية تقدير واعجاب ومودة للتاريخ وتاريخ الصحافة.. وتحية عالية لذكريات جريدة «النصر» في شخصية مؤسسها الصحافي الكبير - وديع صيداوي - ولزملائه - أيام الاستقلال والجهاد.. أجمل الذكريات..

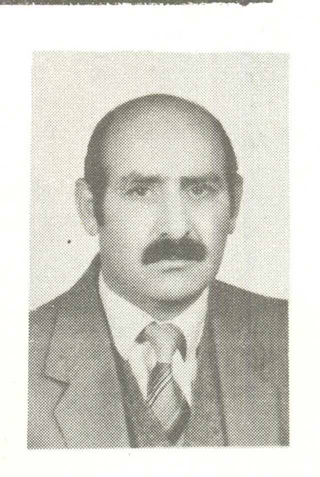
● سلمية:

● **اسماعيل عامود**



وديع صيداوي
في
ذمة التاريخ

بقلم
الأستاذ حكمت هلال


الاستاذ حكمت هلال

لن نغالي اذا قلنا ان وديعا الصيداوي صاحب جريدة النصر الدمشقية واحد من اكابر الصحفيين الذين وجدوا قبل منتصف هذا القرن فقد اتصف بسعة الثقافة وسلاسة العبارة والروح الواقعية التي يتناول بها الخبر الصحفي حينما يحرره أو يعلق عليه.

ولد الصحفي وديع الصيداوي عام ١٩٠٨ وهو ابن السيد جورج الصيداوي. تلقى علومه الابتدائية والثانوية في الجامعة الامريكية في بيروت والعالية في معهد الحقوق العربي بدمشق وهو مجاز في الحقوق.

بدأ حياته العملية بأن تمرن في المحاماة مدة سنتين ثم في عام ١٩٢٨ أمتهن الصحافة إذ حرر وترأس تحرير جريدة الف باء حتى عام ١٩٤٣ وهو تاريخ استحصاله على امتياز جريدة باسم جريدة النصر ولعل عنوان الجريدة هذا يوحي بايمان هذا الصحفي بان النضال في الحياة ينبغي أن يتوج بالنصر والظفر. وقد صدر عددها الاول في الخامس من تشرين الاول عام ١٩٤٣ وكان يقع في اربع صفحات من القطع المتوسط وقد تحدث عن هذا العدد جوزيف الياس في كتابه تطور الصحافة السورية في مئة عام صفحة (٤٨٨) فقال: «يبدأ ذاك العدد بمقدمة تناول فيها الصيداوي الظروف التي اقتضت تأسيس الصحيفة ورسالتها والخطة التي ستسير عليها. وقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور حتى عام ١٩٥٢ حيث اندمجت في جريدة الاخبار وصدرت عنهما صحيفة جديدة دعيت النصر الجديد. غير ان هذه لم تعمر طويلاً فعادت كل من الصحيفتين الى سابق عدها. وفي عام ١٩٥٨ لم يتنازل وديع الصيداوي عن امتياز جريدته واستمر في اصدارها حتى عام ١٩٦٣ فعاشت بذلك عشرين عاماً تعطلت فيها فترات محدودة بسبب بعض المقالات أو الاخبار التي كانت تنشرها.» واذا أردنا ان نفصل اكثر في وصف صحيفة النصر قلنا إنها صحيفة يومية سياسية مصورة كانت تحتوي على زاوية في الصفحة الاولى عنوانها ورود وأشواك وأخرى عنوانها كل يوم كلمة صغيرة. أما صفحتها الثانية فكانت مخصصة لاخبار العاصمة والملحقات. وبعد أن أصبحت صفحاتها ثماني صفحات تنوعت موضوعاتها من مقالة افتتاحية تحمل عنواناً ثانياً اسمه قضية الساعة الى تحقيق صحفي فالاخبار الداخلية. فزوايا

اخرى توزعتها صفحاتها الاولى والاخيرة مثل أخبار وأسرار وفي الصميم وثمة صفحة للفكر أو الادب أحياناً واخرى تتناول موضوعات اجتماعية أو اقتصادية. ويمكن القول إن جريدة النصر كانت أميل إلى جريدة اخبارية بحتة منها إلى جريدة معارضة وأغلب مقالاتها يتسم بالرفق واللين ويبتعد قدر الامكان عن سياسة العنف والتنديد وهذا ساعدها على أن تكسب قدرة على الاستمرار فحازت ثقة شركات الاعلان كما انها اتصفت بتسقط الاخبار السريعة الطازجة في حينها. ومما زاد في اقبال الناس عليها. إن صاحبها وديع الصيداوي كان يطلق العنان لنفثات قلمه السيال ويلبسها حلة قشيبة من نسيج يراعه. وينشر فيها آراءه وأفكاره في سبيل الاصلاح وطرق البناء.

فكانت هذه الصحيفة ميداناً تتبارى فيه اقلام الكتاب التي تدافع عن حقوق ومصالح الشعب بعبارات فصيحة وأسلوب بديع ممتع.

ومن الذين حرروا في هذه الجريدة وترأسوا تحريرها أحمد شكري وزهير الكزبري وأحمد عسه وزهدي النشاشيبي ومن كتابها أيضاً علي الطنطاوي وشفيق جبري وأنور العطار ولذلك كله استطاعت هذه الصحيفة أن ترسخ وجودها في عالم الصحافة وان تصبح من كبريات الصحف السورية آنذاك رغم المنافسات والخصومات التي كانت تواجه صاحبها وديعاً الصيداوي ولا عزو أن يصمد الصيداوي لعواصف الزمن ونوائب الايام وان يستمر في عطائه ويثابر على رسالته الصحفية بأمانة واخلاص. إذ كان صاحب قلم مسخر لخدمة الحياة القومية والمبادىء الحرة والاستقلال الوطني. وشاهد ذلك مقالاته البليغة وتحليلاته الذكية التي تدل على سعة باعه وحدة ذكائه وخبرته وألمعيته.

وأصبح بفضل ذكائه ومزاياه الحميدة أمين سر نقابة أصحاب الصحف وتقلد مهام في خدمة الحكومة والوطن وعين عضواً في مجلس ادارة الهلال الاحمر السوري وعضو مجلس إدارة جمعية الطيران السوري «راجع من هو في سورية ص ٢٦٠».

رحم الله الذي خدم رسالة الصحافة بشرف وأمانة ونال قصب السبق على اقرانه. ولا غرابة في ذلك فانه كان أشهر من نار على علم بمآثره العلمية والسياسية. محبوباً عند الرفيع والوضيع شريف المبادىء طاهر السيرة والسريرة. وقد جرت عليه مواقفه الوطنية متاعب كثيرة لان الصحافة في عهد الانتداب الفرنسي كان لها دور فعال في تكوين الامة وقد كشف محرروها ومن بينهم الصيداوي عن أهبة لمحاربة الاستعمار بأنواعه وعن استعداد لتحمل كل التضحيات ذلك ان جريدة النصر وغيرها من الجرائد الاخرى التي كانت تصدر بين سنتي **١٩٤٣ - ١٩٤٦** اتسمت بالاخلاص والروح الواعية لمصالح البلاد الوطنية واستطاعت ان تدعم أوضاع البلاد ونضال أبنائها للحصول على الاستقلال التام لسورية.

وتمكنت هذه الصحيفة أن تفند الاكاذيب المغرضة ضد السياسة الوطنية وتعبر عن أماني الامة السورية مقدمة لابناء الشعب كل النصح والارشاد بغية الوصول الى الهدف المنشود الذي هو عنوان هذه الجريدة بالذات أعني «النصر» العظيم.

حكمت هلال

